

# رسالتان في أحكام المتعالية والفقير الزوحي

تأليف

حسن بن حَمْزة بْنُ مُحَمَّدِ الشِّيزَارِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالشَّرْفِ الْبَلَاسِيِّ  
مِنْ أَكْبَارِ عُرْفَاءِ الْقَرْنِ السَّابِعِ الْهِجْرِيِّ  
حَقَّقَهُمَا وَعَلَقَ عَلَيْهِمَا وَصَدَّرَهُمَا بِمَقْدِمَةٍ  
الدُّكْتُورُ صَاحِبُ عَضَيْمَةٍ

# رسالتان

## في الحكمة المتعالية والفن الترددية





shiabooks.net  
mktba.net رابط بديل

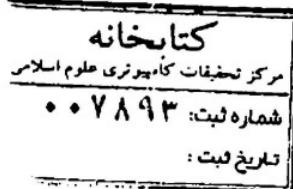
## رسالتان

في أحكام التغالية والفنون الروحية

تأليف

حسن بن حنزة بن محمد الشيرازي المعروف بالشرف البلاسي  
من أكابر عُرَفَاءِ الْقَرْنِ السَّابِعِ الهِجْرِيِّ

حققهُمَا وعلقَ عَلَيْهِمَا وصَدَرَهُمَا بِمُقْدَمَةٍ  
الدكتور صالح عضيّمة





## **الرسالة الأولى**

تحفة الروح والأنس في معرفة الروح والنفس

## **الرسالة الثانية**

رسالة الأذكار الموصولة إلى حضرة نور الأنوار



## التقدير والعرفان

ليس من الحق أن أغفل هذه النخوة التي توهّجت في قلب صديقنا الأجل الأوّل الأستاذ سليم علي حسن ، فقد تعهد هذا المشروع بالعناية والتفتّ إليه بالسخاء والرعاية واغدق عليه من اهتمامه حتى بزغ منه أول شعاع ، هو هذا السفر الأنثى الذي يسحر العقل والقلب معاً . وإنها لنخوة حصيف ترجمت حبّ صديقنا الأجل الأوّل للعلم وأهل العلم ، وعبرت عن مودته للفكر ورجال الفكر ، وكشفت عن طموحه البعيد ليحتلّ دوره في تزويد العقل وتهيئة اسباب المعرفة ، لأنّه أدرك أنّ ليس بعد العقل شيء يطلب ولا بعد المعرفة غاية تُفتقّد . فله الشكر صافياً ولله التقدير خالصاً في أول الطريق وآخره .



مَرْجِعِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ

## الإهْدَاء

إلى الصديقين اللذين عرَفَا الموت في الحياة والحياة في الموت ،  
أعني :

الدكتور محمد الفاضل ، فقد كان يقظةً في حياته وصيحةً في  
استشهاده . و

العالم الشيخ عبد الرحمن الحبَّير ، فقد اتقى وأثر الآخرة على  
الأولى .

غمَرَهما الله بأنواره ورضوانه .

صَاحِبُ



مَرْجَعِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ

# المَقَدِّمة



مَرْجِعِيَّةٌ مُبَوِّهٌ عَلَى حِسَابِي

## المقدمة

يا سائلًا عني ليعرف مذهبى هيهات ! دونك مانع ومنيع إن كنت تُنكرنى، أنا الفرد الذى لا تابع أبداً ولامتبوع هكذا يعرف نفسه مؤلف هاتين الرسائلتين ، حسن بن حمزه بن محمد الشيرازي . وليس لنا أن نطالع على لمس هذا التعريف وتحريكه ، وليس لنا أن نكشف عن خبيئه إلا بعد أن نستمع إلى كلامه وهو يحاول تجليله المعنى الذى كاد يتحول إلى أحجية ، ربما لغرضه ربما لتناهيه في الدقة .

فقد حدث له أثناء مروره بمدينة الموصل ، أن تنشب مجادلات بينه وبين أعيانها حول مسائل دينية صوفية ، كان الأخذ والردة فيما على درجة قوية من الحدة ومن الاستهزاء معاً . وقد بلغ العنف أشدّه عندما ذكر هذين البيتين ، وهما له ، ليؤكد معنى أو ليقطع حجّة ، حتى أن الخصوم أغلظوا له ورموه بالتكفير ، وظنّ أنهم واقعون به لا محالة ، فاستعملهم قليلاً لرفع الحجب التي أسدلّت بين أفهمهم وبين هذه المعاني البعيدة ، وعندما أفلح في تيسير الإيضاح واستحضار الأقناع ، عادوا إلى رأيه وشكروه واعتذرلوا إليه .

وما ذكره هو : أنه لا يصحّ أن يُقال في ذات الله ، أنه لا تابع وأنه لا متبوع ، ولا تقوى أفهمانا على أن تدخله تحت الأيماء أو الاشارة ، « لأنّه فرد في الوجود ، بل هو عين الوجود » .

وإنما يصدق ذلك في الإنسان الذي أُوجد ولم يكن من قبل شيئاً مذكوراً ، وعندما صار موجوداً علمنا أنه انفطر من بداية وأنه سيؤول إلى غاية أو نهاية ، وهذه صفة المعدوم ، « والمعدوم لا يتبع الموجود ولا يتبعه الموجود » .

وربما استطعنا أن نستحضر في هذا الإيجاز البسيط الواضح مجموعة المعاني الطويلة التي ذكرها قبل هذين البيتين وبعدهما . على أنه لا يعني بالمعدوم هنا هذا المعنى الشائع وهو : ما استحال وجوده ، أو ما استحال أن يكون له صيغة ما يُفهم منها أنه موجود . بل قصد بالمعدوم ذلك الموجود الذي يكون من أخصّ أوصافه عدم ، فلا يستطيع أن يستمر في الوجود كما يشاء ، ولا أن يعطي ذاته الوجود الذي يشاء ، فوجوده خارج عن حد قدرته ولا يدخل في طوع إرادته ، وأنّ غيابه أو موته أو استحالته لا تعني فقدانه أو انعدامه أو خروجه من حدود الوجود .

ولا أجد حرجاً في أن أقترح معنى آخر لهذا البيت : فكلّ إنسان بل كلّ مخلوق له صفة خاصة به تميّزه عن غيره من بني جنسه وإن اتفق معهم في كثير من الصفات ، لكنّ هذه الصفة تعطيه الفردية التي لا يمكن سلبها عنه وإعطاؤها إلى غيره ، ولا هو يقبل من غيره صفة خاصة أخرى ، فيظلّ متميّزاً بذاته الحقة التي لا تلتتصق بها ذات حقة أخرى ، أي لا يكون متبعاً ولا هو يخلع ذاته لتذوب في غيرها من الذوات ، أي لا يكون تابعاً . وأرى أنّ هذا المعنى لا يختلف مع فلسفة المؤلف رحمة الله

في انسجام الأشياء وائللاف الموجودات وتوحدِها من حيث البواطن ، بل ربما جاء معتبراً بطريقة أخرى عن هذا التوحد ، فالتمايز بين الأشياء أَنْجع سبيلاً وأَجْلَى مُحْجَّة لبلوغ هذه الوحدة التي هي مصير الأشياء وقرارها .

وليس من العسير علينا أن نفترض معانٍ أخرى لها شأنها ولها دلالتها ، كما أنه ليس من العسير على غيرنا ممن سيطالع قصة المؤلف وما جرى له في الموصل وشرحه على بيته ، أن يستشرف من المعاني ما راق وما ساغ . فأنما أكره أن أجعل المطالع أسيراً لما أبته في الكتابة من أفكار وحيساً لما أذهب إليه من آراء . بل أكره هذا المطالع الذي يستسلم لكاتب أو لمفكر دون أن يقاوم وأن يصاول ، وبقدر ما يكون صلباً في مقاومته بقدر ما يزداد قناعةً ووضوحاً وإشراقاً . وقد أراد الشيرازي أن يعرف سائله بأن مذهبه واسع شامل ، يسع الموجودات كلها على ما بينها من تفاوت وتناقض ، أو كأن مذهبه هو النقطة التي تلتقي فيها الأشياء كلها عاريةً ناصعة متلهفة للاتحاد ، بعد أن عانت من التشتت والاختلاف ما عانت ، وبعدما رأت أن تكثُرها وتنوعها لم تكن غايَتها المنتظرة ولا نهايتها المرجوة المرتقبة . ولا يبعد أن يكون الشيرازي في مذهبه هذا نداً أو مثيلاً للشيخ الأكبر محى الدين بن عربي في حبه ، فقد أقرَّ واعترف بأنه لا يعرف ديناً إلا الحب ، فالحب دينه وأيمانه ولاؤه والفطرة التي فطر هو والناس معاً عليها . ومن لا يعرف بيته المشهور السائر :

أدين بدين الحب أتى توجّهت ركابه فالحبُّ ديني وإيماني

فما كان الحب عندَه غيرَ هذا الحنين أو غيرَ هذه الضرورة في  
الشيء المَوْجُود ، ليتلاقِي مع الشيء المَوْجُود ويتألّحُ به . كذلك ما  
كان مذهب الشيرازي غيرَ هذا الشوق الذي تتلهّب فيه الحرارة  
لتصل إلى كل مَوْجُود وتصهره ثم تجعله له صفة أو إسماً أو  
علامة . وكل مذهب لا يصفّي الانسَانَ من أدران الحياة ولا  
يكون رحمة مشعّة ونعمَّة شاملة ، فلن يُصِيب نموًا وازدهاراً ، ولن  
يقدر على التوسيع والاستمرار .

وإذا كان مذهب الشيرازي يحمل مثلَ هذا الوصف ، فليس  
هو إلا نعمةً موهوبية ، وليس كتبه ومؤلفاته وما يصدر عنه من  
قولٍ أو عمل إلا رياضاً فواحةً بألوان الطيوب القدسية صدّاحَةً  
بأعذب الألحان الروحانية . لكنني كيف أعرّف به ، وكيف  
أشرح حاله والمصادر عنه غير موجودة ، والطرق التي تقود إليه  
مفقودة؟! فلا يوجد لدينا إلا مصدر واحد فقط ، وهو ما  
بأيدينا من تصانيف الشيرازي نفسه ، وحتى هذا الذي بأيدينا  
من تصانيفه لا يذكر فيه ما يعرّف بنفسه ، ولا يأتي على سيرة  
حياته إلا في بعض مواضع دفعته إليها ضرورة البحث ، وهي لا  
تکاد تبلّ ريق العطشان . فليس فيها ما يُشير إلى تاريخ ولادته ،  
ولا أين ولد وعاش ، وليس فيها إيماءة إلى أسرته ولا إلى أساتذته

وشيونه وبئته الثقافية والدينية ، ولا نعلم تاريخ وفاته ، ولا أين دفن؟ .

والذي يثير فينا الأسف ويحرّك الحسّرة ، هو أن هذه التصانيف لا تتعدّى كتاباً ورسالتين صغيرتين ، أعني كتاب التبيه وهاتين الرسائلتين اللتين لأجلهما كانت هذه المقدمة ، والأولى منها كاملة والثانية ناقصة لم نعثر منها إلّا على هذه المقدمة الخلابة التي تنبئ عن مصنف رائع ، وعن مفكّر بعيد الغور والقرار ، يندر النظير له والمثليل . ولا يستطيع أي مفكّر أو باحث ، وهو في غمرة البحث والتفكير في أصول الدين وقضايا الفلسفة والتتصوّف ، أن يلتفت إلى حياته فيروي طرفاً منها ويتمعّن الناس بسرد ذكرياته وما حدث له في أطوار عمره ، إلّا إذا كان ذلك يمسّ موضوعه ، فيأتي به مثلاً أو شاهداً ، أو يوضح به عموماً ، أو تكون فيه العبرة والعظة . ولا بدّ أن نستثنى من هذا الكلام جماعة الصوفية ، لأنّ حياة الصوفي هي أحواله الروحية يعيشها في كل آن ، فلا يمكن لنا التفريق بين حال له وبين الزمن الذي تظهر فيه تلك الحال ، بل إن الحال هي الزمن وإن الزمن هو عين الحال . وعلم الصوفي وفكرة هي رؤيته وتجربته ومعاناته التي تخضع للتطور والتحول من آن إلى آن . لذلك يؤثّر الصوفي عندما يحدث أو يؤلف ، أن يقول : رأيت وشاهدت ، ولا يقول : سمعت فلاناً أو نقلوا عن فلان ، وهذا واحد من أعيانهم — وهو أبو يزيد البسطامي — يلتفت إلى أهل الرواية

وأصحاب الحديث في شففهم قائلًا : « أخذتم علمكم ميّاً عن  
ميّ وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت ». ويريد بذلك أن  
الحي القيوم خالق الأرواح وباعث الأشباح يتجلّى للصوفي فيأخذنه  
من نفسه وتُصبح حياته كلها بريءة ، ولا حول ولا قوّة له إلّا بحوله  
وبحالقه .

وقد أصدر الشيرازي عن مثل هذه الأحوال في كثير من  
كتب ، ومن ينظر في تصانيفه أو من يصحبها فترة من الزمن  
يدرك أنه كان يمتلك تجربة روحية عميقه واسعة ، وأنه حظي  
بنعمة الإشراق الالهي بعد مكابدات شاقة على طريق الرياضيات  
الصوفية التي كانت قد نضجت في عصره نضوجاً نقائياً سليماً ،  
أعني القرن السابع الهجري الذي انتشرت فيه الكلمة الصوفية  
وتوسعت ، وامتدت حتى سيطرت على الأدب بفنية الشعر  
والنثر ، وعلى الفقه والفقهاء وعلى القصص الشعبية ، وخفقت  
راية التصوف في بساتين الأمراء وعلى قصور الملوك والحكام ،  
ويكفي أن نذكر أنَّ ابنَ عربيَ شيخَ المتصوفةِ الأكبرَ كانَ في هذا  
القرن ، وأنَّ تلامذته الذين أسسوا مدرسته ووسّعواها كانوا كذلك  
فيه ، لتعطى سبباً قوياً من الأسباب التي بنت للتصوف هذا  
الصرح المرمّد ، وخلقت له هذا الكيان الكبير وتلك السيطرة  
الواسعة .

وما علمنا أن الشيرازي عاش في القرن السابع للهجرة إلّا  
عندما روى لنا في الرسالة الأولى من هاتين الرسائلتين حادثة هامة

ذات مغزىً كبير ودلالة بعيدة ، بدأها بقوله : « لما قدمت من أرض الحجاز سنة ثلاثة وثمانين وستمائة ... ». ولا خحسب أن المطالع سيقرؤها مرة واحدة فقط ، بل سيعيد قراءتها ثم يعيد لما فيها من المتعة واللذة ، ولما تحمل من المعانى العميقه الدقيقة . ثم يتتابع فيقول : « ... وكانت الوقفة يوم الجمعة ، وكان أمير ركب الديار المصرية الباشقري ، وأمير ركب الشام عز الدين بن عز الدين الكردي إلى مدينة دمشق حرسها الله تعالى ... ». فقدومه من الحجاز إلى دمشق كان بعد أداء فريضة الحج ، ولكننا لا نعلم هل كان من ركب مصر أم كان من ركب الشام ؟ وسائل بصيغة أخرى ، هل كان مصرياً أو كان شامياً ؟ فنحن لا نستطيع أن نختار له مكان الولادة والمنشأ ، وهو لم يعين لنا هذا المكان .

ولشدّ ما أجهدت النفس في البحث والدوران في الكتب والمراجع الشرقية والغربية لأعرف خبراً أو لأنقطع إشارة أو طرفاً من أخبار هذا الباشقري أمير الركب المصري ، ومن أخبار صاحبه عز الدين الكردي أمير الركب الشامي فلم أوفق إلى شيء . وفكرة أن أستعين بالتخمين والظنّ لكن الظنّ لا يعني من الحق شيئاً ، فأقلعت ورجعت ، وأنا لا أعتمد الظنّ والتخمين في أبحاثي إلا إذا كانت الأسباب قوية داعية لها ، وإلا إذا كانا يضيئان قليلاً في العتمة القاسية حين لا يسع النور ولا ينكشف الواقع على حقيقته . وعندى الأمل الكبير الثابت أن

المستقبل سيجيء بأخبار هذين الأميرين وأخبار صاحبها الشيرازي هذا العالم المدقق .

ويحق لنا أن نسأل أيضاً إذا كان يعود في أصله إلى العراق ، لأنه يحدثنا في الرسالة الثانية من هاتين الرسالتين أنه مر في مدينة الموصل وأقام فيها زمناً ، فلا نعلم أطويل هذا الزمن أم قصير ؟ ومن أين جاء إلى هذه المدينة ؟ ومن لقي فيها من الأعيان ؟ أسئلة تنتظر وتتلهف إلى طلوع الأجيوبة ، ويستفاد من حديث مروره في الموصل أنه خاض مع نفر من علمائها وفقهاها معارك حامية حول موضوعات فقهية وأخرى صوفية ، وكان الحق في هذه المعارك إلى جانبه فانتصر وفاز بتأييد أهلها ، ويستفاد أيضاً أنه غادر الموصل بعد ذلك ولم يستقر فيها طوال حياته .

والآن وقد آنست ناراً فسامضي إليها ، لعلني أجد على هذه النار هدىً يلهمني أن أكشف شيئاً من جوانب حياته الغامضة ، فهو يذكر في خاتمة الرسالة الأولى من هاتين الرسالتين ، في الفصل الذي سمّاه (وصيّة) ، أن التقدير الآلهي ساقه إلى بلاد آذربيجان ، وفي قرية من هذه البلاد تدعى كنججان تعرف على شيخه ومرشدته الكبير محمد الصديق بن محمد ، وبحاول أن يدقق في رسم هذه الشخصية المؤمنة البارعة ، صاحبة القدرات الروحية الخارقة ، وذات التأثير الفعال في نفوس التلاميذ والمربيين ، وفي نفوس أهل القرية ومن جاورها من القرى ، ثم يذكر أنه مكث في خدمته تسع سنوات ، يتلقى

منه المواهب والتربيّة ، ويتنعم بأوامره وإرشاداته الصوفية ، ويترّوح بإشراقاته الكشفية ، حتى إذا وجد عنده الرغبة في السفر إلى بلاد الشام ، ووجد أن الرغبة اشتدت فانقلبت إلى عزم وتصميم ، استأذن شيخه ومرشدَه في الرحيل فأذن له ، وأحبَّ أن يلقنه وصيَّةً عند الوداع ، فألقاها عليه محمدُ الصديق بالفارسية وأعادها التلميذ الشيرازي إلى العربية .

ولعلنا نستطيع هنا أن نتّمتع بأطايِب الاستنتاج ، وأن نسرح مع نسمات التقدير والحسبان ، لكن بهدوء وكياسة وعلى حذر وتوخِّس ، فلا يبعد أن يكون أصله من شيراز ، ونسبته إليها ليست عبئاً ولهموا ، وكما يفعل طلاب العلم والمعرفة فقد غادر موطنَه الأول وراح يتَجول في الأقاليم والبلدان ، يعاشر أعيان الفكر ويرافق سلاطين الفهم والكشف ، ويعاني تجارب أكابر الصوفيين ، فارتَحَل إلى آذربيجان ليقضي مع أستاذِه الصديق تسع سنوات أو تزيد قليلاً ، وربما كان آنذاك في مقبل شبابه ، لأن الصبر على هذه المدة الطويلة والارتفاع بعدها إلى بلاد بعيدة ، أقصد بلاد الشام ، يحتاج إلى عمر الشباب وقوّة الشباب . ويزيد في ميلنا إلى الاعتقاد بأن أصله من بلاد الفرس ، ومن شيراز ذات الصيت الذايَع بأعيانها وأكابرها ، أنه قصد منطقة أخرى يتكلم أهلُها لغةً يُعرفونها وهي الفارسية ، وقد آثر أن ينقل لها وصيَّةً أستاذِه عن هذه اللغة إلى العربية ، ولا يبعد أنه كان يُتقن

اللتين قبل تطوفه في البلدان التي يتكلّم أهلها وساكنوها اللغة العربية .

وقد لا نجائب الصواب إذا نحن ظننا أنه كان في سن العشرين أو ما يجاورها في النقص قليلاً أو في الزيادة قليلاً ، عندما غادر مكان ولادته وسار على وجهه في البلاد يبحث عن العلم ويؤمّ العلماء حتى استقرّ به المقام تحت جناح سيده الصديق ، ولا نستطيع أن نظن أنه كان أصغر من ذلك ، لأنّ الحديث أو اليافع لا يحسن أن يضرب في الأرض ابتعاد الدراسة وسعياً للعرفان . وبكاد يصبح من المئين علينا بعد ذلك أن نقدر ولادته في حدود خمسين وستمائة للهجرة ، فلا ننسى أنها أشرنا قبل قليل إلى رحلته من بلاد الحجاز إلى بلاد الشام عام ثلث وثمانين وستمائة . ونحن نود أن نميل إلى الاعتقاد ، بل إلى الترجيح المطمئن ، بأن هذه الرحلة كانت بعد أن قضى عند شيخه الصديق سنوات الدراسة والتدريب الروحي بستين أو بثلاث سنوات ، وذلك لأن التنقل كان على الأقدام أو على الدواب ، مما تحتاج معه المسافات المكانية الواسعة إلى مسافات زمنية واسعة . وتلك عادة الفها العلماء الأقدمون ، وهي التجوال في البلدان الإسلامية بعد زيارة الأماكن المقدسة في الحجاز ، وربما قضى الواحد منهم نصف عمره في هذا التجوال ، يعلم ويتعلم ويطلع على مؤلفات جديدة ، ويضيف تجارب أخرى إلى تجاريه ، وأحياناً يقضي نحبه فيدفن حيث يكون .

ويذكر الشيرازي في مقدمة كتابه (التنبيه) أنه ألف هذا الكتاب ، وجعله هدية إلى إخوانه وأصدقاءه المقيمين القاطنين في الديار المصرية وفي الأقاليم الشرقية والغربية . ولم أقلح في معرفة هذه الأقاليم وتعيينها أو معرفة أسماءها ، إلا أن تكون بلدان المغرب من الغرب ، وأن تكون بلاد الشام والعراق وإيران وتركيا في الشرق ، وكذلك لم أقف على معرفة ما إذا كان قد سافر إلى مصر وأقام فيها فترة من الزمن ، فكان له فيها إخوان ومربيون وأنشأ علاقات واسعة مع أهل العلم والمعرفة ، فاستحقوا أن يختصهم بكتاب يذكر فيه بعض المعتقدات الغربية ، ويشرح بعض المحببات الغامضة . وإنني لأرى سبباً آخر يلوح لي من بعيد في قوله في افتتاحية الكتاب : « ... وأعانهم على الرجوع إلى طاعته حيث كانوا وأينما كانوا من الأقاليم والبلدان ، فلعل الحائد منهم عن الطريق يرجع والغافل يتدارك ويسمع » . وما عسى أن يكون هذا السبب إلا اختلافاً نسب بينهم ، وجداول حول موضوعات ومفاهيم بلغ من الحدة مبلغاً دفعه إلى تأليف هذا الكتاب ، ليرفع الخلاف ويحسّم النزاع ، وأحسب أنَّ في قوله الآتي شهادةٌ بيّنة على صدق ما ذهبت إليه ، يقول : « فإن وجدوها لدائهم شافية ولا أشكَّل عليهم في أصول الدين كافية ... » لكنه لم يشر إلى الموضوعات التي اختلف فيها القول ، ولا إلى أوجه الاختلاف ، ولم يترك علامَةً أو إشارة تهدى المطلعين بعده على الكتاب ، إلى استنتاج نقطة واحدة من نقاط الاختلاف ولو

بالظنّ ولو بالتخمين ، وحسبه ذلك رفعه في الأخلاق وسمّوا في الشرف والنبل .

وليس لدى ما أقوله في هذا الكتاب ، فلا أعرف تاريخاً لتأليفه ، ولا أدرى في آية مرحلة من مراحل عمره أخبر هذا السفر النفيس ، فلربما كان في المرحلة الأخيرة من حياته ، ولنا إلى هذا الظن سبيل ، وهو قوله : « وما أحصرت عن الترحال ، وتعذر علىي الاجتماع بالأخوان في الحال ، ألقت هذه الرسالة » . ويفيدو لو أنه استطاع أن يشخص بنفسه إلى مكان هؤلاء الأخوان وديارهم لآثار ذلك على الكتابة والتأليف . ولكن لا ندري إلى أين المانعين نميل ، هل إلى ضعف الشيخوخة والهرم أم إلى مرض ألم به فأقعده ؟ وكلا الأمرين يُلحّ بأن يختل مكانه من الظن والرجحان ، ولعل الأول أقرب إلى الاعتقاد والتصديق من الثاني ، بل لعل الإيحاء في كلامه يشدّ إلى السبب الأول أكثر مما يشدّ إلى السبب الثاني .

وقد بات في حكم المألف أنه إذا ذكر كتاب ( التنبية ) أن يحضر في الذهن العلامة الأستاذ الشيخ أحمد محمد حيدر رحمة الله وأن الله الرضوان ، فقد استبدّ به هذا الكتاب أيّ استبداد ، وسيطر عليه آية سيطرة ، وكان من ثمرة هذا الاستبداد وقطاف هذه السيطرة ، أن أخرج له شرحاً جليلاً جديراً بالاعجاب والتقدير ، موسعاً في آفاقه وموضحاً لغواصيه وشوارده . وله غير هذا الشرح كتب متعددة تثري الفهوم وثيري الفكر إذا

هي ظهرت ونشرت ، صانها الله من سطوة العبث والعقوق .  
وفي محل آخر من كتاب (التنبيه) يذكر لنا الشيرازي ، أنه  
عمل مصنفاً آخر سماه (التعليق) ، لا أعلم أين هو ، ولست  
أعرف سبيلاً إليه ، أترى أنه موجود أم أن يد البلي والفقدان لعبت  
به فاخترمته ولم يبق له إلا هذا الذكر العابر ؟ وقد عرَّف الشيرازي  
مادَّةَ هذا المصنف ، فذكر أنه بحث فيه آداب تعلُّم أصول  
الطريقة الصوفية ، والعلاقة التي ينبغي أن تُوجَد بين المرشد وبين  
المريد ، ونبَّه إلى الوسائل والأساليب التي يتمُّ بها إلقاء الحقائق في  
 مجالس الصوفيين ، وتعرَّض فيه لبحث الإيمان وتذوق المعرفة ،  
والدور الذي يلعبه الشيَّخ المرشد في توليد الإيمان والذوق في نفس  
التلميذ المريد وفي بناءه البناء القوي السليم .

ولا أعلم بعد ذلك مؤفِّاً أو أثراً ، لهذا المفكَّر النادر ، يكون  
موضوعاً للحديث ، وحسبه هذى التي بين أيدينا لترفعه إلى  
درجة العليين الذين خبروا النفس الإنسانية وجابوا أقطارها ، وأدوا  
إلى الإنسان خدماتٍ كبيرةً . ولا أشعر أنني أبالغ ، فإن لم تكن  
الآثار التي وصلتنا عنه تنزل تحت هذا الوصف ، فلا غرو أنها  
تدلُّ على خبايا ضائعة لم يُعثر عليها بعد ، أو دعوها المؤلف صدر  
الزمان ، فمتى يوجد بها الزمان وينطقها درراً يزئن بها أفسدة العلماء  
ويروح أرواح المفكرين المتصوفة ؟ . فنحن لا نتردد لحظةً في  
الاعتقاد بأنَّ له آثاراً غيرَ هذه الآثار التي عثنا عليها ، أكثرها في

النثر وبعضها في الشعر . فنثُر يتصف بجمال الكلمة وقوَّة العبارَة ، ورصافة السبك المتقوش بأنواع الزينة والتزيين ، تختلِّ اللفظة مكانها بأمانٍ واطمئنان دون أن تحدث قلقاً أو اضطراباً ، دون أن تتجاوز حدودها المرسومة ، وإلى جانب القيام بواجبها في أداء المعنى ، فهي تبث إشعاعاً من الإيماء ، يسيطر على السامِع أو القاريء ويتصرّف به تصرفاً خلاقاً . أقصد أنه يفجّر بواطن النفس ويشير كوامِنها ، فلا ترى شيئاً من الأشياء بعيداً كان أو قريباً ، إلَّا وعند النفس مثال صادق له ، ولا تجد معنى من المعاني ، إلَّا ولديها خبرٌ واضح عنه . يكاد بأسلوبه الفاتن الجذاب ينقل إليك مكاففاته الروحية ومشاهداته ، أو ينقلك إليها على أجنبيةِ كلمات لا تعرف التعبَ والاعباء . وتقسُّو عليه وعورة البحث أحياناً ، ترِيد أن تخرج به إلى جفوة الكلام أو غموضه ، لكنه يحتال بأناءَ وروية ليلطف من قسوة هذه الوعورة ، إما بإطالة العبارة وتكرار المتراَفات والمتَشابهات ، وإما بإعادة الشرح على وجه آخر ، يكون فيه المثل المساعد على الإيضاح ، أو الشاهدُ المعين على تقريب المعنى وإظهاره وراءَ الحصون المنيعة ، أو الحكاية الغنية بدلاتها الصادحة بإمتاعها . وبذلك يعود البحث جاماً سهلاً متسلسل الأجزاء ، تخبر الفقرة عن أختها قبل الوصول إليها ، وتدلّ البداية على النهاية ، ولا يبقى من الوعورة شيء غير هذه الدقة ، التي هي صفة لازمة من صفات الأفكار عند هذا المفكِّر المتصوّف وعند غيره من

المتصوفة ، ولا سبيل إلى بلوغ هذه الدقة وتجاوزها بالأدراك أو بالفهم ، وإنما بالاحساس الذي لا يخفى عليه شيء ، ولا ينأى عنه شيء ، فالاحساس وحده هو الذي يلْجُّ المناطق المحرمة على الكلمة والاشارة .

والذين خبروا طبيعة البحث وعاشوا تجاريءه أدركوا ، أن الأفكار تتأبى على سلطان الكلمات مهما كان قوياً ، وتقاوم إغراء الألفاظ كيما كانت حلاوته وفتنته ، ولا تنقاد بسهولة لخلي العبارات مهما تعددت وتشابكت . ولا نريد أن نختلف كثيراً في هذه المسألة ، فقد تقوى الكلمات على استحضار المعاني ، وقد تُفلح العبارات في اصطياد الأفكار ، لكنهما لن تستطعا على إظهار الأحساس وإبراز المشاعر والعواطف ، مهما بلغت عندهما الطاقة والمقدرة . فالاحساس يحتاج إلى إحساس آخر مثله لكي يفهمه ، والمشاعر لا يصل إليها إلا مشاعر أخرى من جنسها وطبيعتها ، وكل ما تقدر الكلمة أو العبارة أن تفعله هو أن تصاعد قوة الإيحاء ، وأن تورّث حرارته ، فكلما كان الإيحاء قوياً حامياً ، كان ذلك أدعى إلى توّر الاحساس وتوسيع دائرة نفوذه وسلطانه . حتى إذا وقع في بعض الأحيان لواحدٍ من الناس أن يتضور ويصبح كله إحساساً ، فذلك يعني أنه دخل في مرحلة الكشف الصوفي ، وسار محظوراً عليه أن يتكلّم ، ولا يُسمح له أن يعبر إلا بالرمز البعيد والاشارة الخاطفة ، وذلك خوفاً على إحساسه من أن يأسره الغموض في الكلام والعبارة .

والبحث ، فهو مسروق من ذاته ، مخطوط عن نفسه بما وجده إحساسه من لذة المكافحة ونعم المشاهدة . فليس في الأمر غرابةً إذا وجدنا الصوفيين ، والشيرازي واحدًّا منهم ، يمزجون أبحاثهم بمجادهم وحالاتهم الروحية ، لا ليقدموا برهاناً أو دليلاً ، لكن ليعرضوا بعضاً من أحاسيسهم وإنفعالاتهم ، فهي تغنى عن كل برهان وتقوم مقام كل حجّة ، وإذا اقتربت منها أحاسيسٌ أخرى بالمطالعة والقراءة ، فإنها تأنسُ بها وتنجذبُ إليها ، وبعضها يشور فيه الشوق والحنين فيعود وهاجاً ساطعاً ، وقد انكشف له كل شيء .

وقد أجمع عباقرة الفكر ورجال الكشف ، أنَّ الشعر أقدر على اختراق العالم الشفاف ، وأقوى على استحضار شيء من أسراره بصيغة الرمز أو بصيغة التثليل ، أو بصيغة أخرى يختارها على هواه ، ولا يشترط في اختيارها إلا درجة الإيماء . وإذا كان الشعر قيمته بمثل هذه القدرة ، لأنَّها فطرته التي فطر عليها ، فذلك لا يعني أنَّ النثر قد حرم منها ، أو أنها امتنعت عنه ، فلنسنا نُجزِّيز لأنفسنا أن نعتقد مثل هذا الرأي . فللنثر طبيعته الخاصة التي تميّز بينه وبين الشعر ، وإذا صار مقتدرًا على أن يحمل ما يحمله الشعر من مسؤولية ، وأن ينبع بالعبء الذين ينوه به الشعر ، خرج عند ذلك عن طبيعته الساكنة ، وصار يتحرّك بصفات الشعر وألوانه . ولا أحب أن أستطرد أكثر ، فأنسى الكلام على شعر الشيرازي ، هذا الشعر الذي لم نر منه حتى الآن إلا أبياتاً متناشرةً

في هاتين الرسالتين ، وفي كتاب (التنبيه) . وهذه الآيات تشير إلى أن الشيرازي كان مطبوعاً على الشعر ، وأنه كلف بالشعر وأحبه ، وأنه روى هذه الطبيعة وتعهدها ، فخلف مجموعة طيبة من الأشعار ، لا نعلم في أي مكانٍ توجد ولا سبيل إليها ، ولعل الزمان يطلع بها في يوم من الأيام .

وفي شعره من الجمال واللذة والأنس ما لا يقل عما في نثره ، وإن وصل إلينا قليلاً على أصالة صاحبه في الشعر ، ونكتة في هذا الفن ، وطول باعه فيه . لكننا لا نستطيع أن نخصّص له مثلاً للكلام عليه كما خصّصنا للنثر ، لأننا لا نعلم الأغراض التي سعى إليها في شعره ، وعالجها وحام حوها ، وإذا توقيعنا أنها في التصوف والوجودان وقضايا الروحانيات والغيب ، فهذا التوقيع لا يكفي وحده لأن نقيم عليه دراسة لشعره ، ولا يصح أن نجعله قاعدة نبني عليها أحکاماً تصف شعره ، أو تبيّن قيمته وتعدد مزاياه . ونعيد ما قلناه قبل قليل ، من أن الشيرازي كان صاحب فطرة في الشعر ، وكان يجري على طبيعته عند كتابة الشعر أو قوله . وفي كل مرة أقرأ نثره أو شعره ، أردّ عنى تلك الظنوں والأوهام التي تزيّن لي الاعتقاد بأنّه لم يكن فارسيّاً ، وثُقُوعِي في خاطري أنه كان عربياً صريحاً ، لا يعرف إلا العربية الصافية النقيّة ، وسبب ذلك يرجع إلى أن الأسلوب الذي تعوده في نثره وجري عليه في شعره ، كان خالياً من الضعف والالتواء والتصنيع

الواقع ، وغير ذلك من الصفات التي لحقت بعض من كتبوا بالعربية شعراً ونثراً من الفرس . وإذا وجدنا عنده موضع تقصير عن اللحاق بالمؤلف من مستوى الرفيع ، فلا يضيره ذلك ولا يجرّ عليه عيباً . وهذا التقصير أسبابه التي لا نريد أن نلهمه بالحديث فيها عن الموضوع الأصيل ، فلم يكن الشيرازي وحده من بين الفرس الذين أتقنوا العربية كأبناءها ، وتفوقوا عليهم في بعض الأحيان ، ولم يكن وحده من بين الفرس الذين خلطوا أسلوبياً فارسياً بأسلوب عربي في بعض المناطق من كتاباتهم .

وقد وجد الشيرازي في عصر كاد أن يصبح التصوف فيه طعام الناس وشرابهم ، وذلك هو عصر ابن عربي وتلامذته الذين كانوا في كل مكان ، والذين أذاعوا التصوف ونشروه في كل زاوية طريقةً وعلماً وشيراً ونثراً . ولقد اعتاد مؤرخو العلوم والأداب أن يقرنوا القرن السابع وشيئاً من القرن الثامن بابن عربي ، لشدة ما أضاء وتوهج صيته ، ولبعد ما ذاع خبره وأثره في البلاد والأماكن شرقاً وغرباً ، فلم يترك فناً من الفنون ولا علماء من العلوم إلا وبلغ فيه مبلغاً رفيعاً ، ولم يبق بيت في الحضر ولا خيمة في الورى إلا وفيها ثروى سيرة ابن عربي ، وتنلى مآثره ومناقبه ، وتحكى خوارقه ومعجزاته . ولقد كان لشيخوخه قيمة كبيرة وتلامذته منزلة رفيعة ، ولكنهم لم يُصيروا من الشهرة وبعد الذكر ما أصاب ، ولم يختلفوا من الكتب ما خلف حجماً وقيمة ، فمن شيخوخه أبو العباس المرسي صاحب الكرامات وحامل لواء التصوف والعلم الكشفي

في وقته ، أحبه تلميذه ابن عربي وفتن به ، وخصه بالتقدير والتبجيل في كلّ مرّة يذكره فيما ألف وصنف . ومن تلامذته صدر الدين القونوي وعبد الرزاق الكاشاني وسعيد الدين الفرغاني ومؤيد الدين الجندي ، هؤلاء الذين استأنفوا الرسالة وحملوا الأمانة ، وزادوا وطوروا في مدرسة أستاذهم . ولم يقدّر للشيرازي أن يكون من تلامذته ، لأنَّ مولده جاءه بعد وفاة ابن عربي ، ونعتقد — ولا نغالي في الاعتقاد — أنَّه عرف القونوي ، وكان بينهما سبُّ وصلة ، فهل هي صلة الصديق بالصديق ؟ إنَّ ذلك لا نستطيع أن نميل إليه ، لأنَّ وفاة القونوني كانت في عام ٦٧٣ للهجرة ، وكان عمر الشيرازي يتارجح ، فيما نقدر ، بين العشرين والخامسة والعشرين ، فلا يحسن بنا أن نسمّي مثل تلك الصلة صداقتَّ ، بل من الأصحَّ والألائق أن ندعوها تلمذة . فهل كان تلميذاً عنده ومریداً له ؟ إننا لا نستطيع أن نتجاوز الظنَّ ولا نقدر أن نفعل أكثر من التخمين في هذه المسألة ، فنحن لا نملك دليلاً ولا برهاناً يأخذ بنا إلى النفي أو إلى الإثبات . بل هناك إشارة وردت في بداية الرسالة الأولى من هاتين الرسالتين ، وهي استئناسُ الشيرازي بقولِ القونوي ، يحاول فيه أن يعرف الروح تعريفاً فلسفياً دقيقاً جيداً ، فربما استطعنا أن نرى في الصيغة التي يذكر بها القونوي ، المماعة تؤنس ظننا بقيام علاقة المريد والشيخ بينهما .

وأمّا الثابتُ البينُ فهو ، أنَّ الشيرازي تلميذ مخلصٌ في مدرسة

ابن عربي ، فيها كانت ولادته الروحانية ، وفيها نما عقله وتفتحت مداركه ، وانهمرت عليه الفيوض والكشف الآلهية . ولعله لم يغادر شيئاً مما كتبه ابن عربي إلا درسه ودقق فيه النظر والتفكير ، بل لعله لم يترك نصاً كتبه أكابر هذه المدرسة في الشعر وفي النثر إلا وسرّح فيه خاطره وعاد منه بالكنوز المكتنزة . وإنك لnoticed في كل موضوع يعالج ، أنه يميل يميناً ويساراً ، فيقطف من هنا شاهداً ، من مصنفات ابن عربي ، كالفتوحات وفصوص الحكم ، ويتناول من هناك فوائح من أشعاره ومن أشعار تلامذته ، يستعين بها على الإيضاح ، وربما استغنى بها عن الاعلان والتصریح . وقد وجدته في معالجة بعض الموضوعات أنه يأتي بنقول وآفراة من ابن عربي أو من أتباعه . كأنه بذلك يلتزم أفكار هذه النقول ومضامينها ، أو كأنه يعلن بأنها نقطت فأصابت ، وقالت بلغت الحق والعافية في القول . وفي كل مرة يأتي بالشاهد أو يسوق الحجّة والدليل ، بمحاول أن يبرز أثراً له ، أو يخلق الفرصة لتبقى شخصيته بينةً فلا تض محل ولا تغيب ، فإما أن يُلحق الشاهد بتعليق وتذليل ، وإما أن يتبع الحجّة بتحليل ، وأحياناً ينتقد ويعارض ، وأحياناً يوازن ويقارن ، ويأتي في كل حركة من حركاته في الكتابة والتأليف بالبديع الجديد ، أو يوحى بالبديع الجديد إن لم يستطع أن يصرّح به .

ولأنه وإن كان تلميذاً وفيما لمدرسة ابن عربي كما ذكرت ، لكنه

لم يكن أسيراً لها ، مغلولاً بسيطرتها ، يُذعن لكل ما تقول ، ويرضى بكل ما تعتقد . وما أراد أن يعيش أفكار جماعة هذه المدرسة بالفَكَر والتَّصْوِير والنَّظَرِيَّة ، بل أراد أن يعيش حياة التصوف أحوالاً ومعاناة ، وأن يكابد تجاريها كما تعود المتصوفة أن يكابدوا ، فأصبح وله معاناته الخاصة وتجربته المتميزة ، وإذا بحث وألَّف فله أسلوب يميِّزه عن غيره ، وذلك بجمالي الديباجة وقوَّة السبك ومروءة العبارة . وإذا أراد أن يُسْتَأْنِفَ الأفكار ويدفع المعاني ، فلا يختار من الأفكار إلَّا ما يعتقده ، ولا ينتخب من المعاني إلَّا ما يراه حقاً وما يتَّخذه مبدأ ، وهو في ذلك قد يتفق مع مدرسة ابن عربي في بعض ، وقد يختلف معها في بعض آخر ، وهو حرٌّ في أن يأخذ منها ما يريد وأن يدفع منها ما لا يريد . وإلى جانب النقول التي يوردها من هذه المدرسة ، يقصّ علينا حالاً من أحواله أو كشفاً وقع له في خلواته ، فما أسهل أن نقارن بين نقوله وبين مشاهداته ، لنزداد في التَّثبِيت والتَّأكِيد من أن شخصيته في التأليف ظلت بيئنة قوية ، وأن تجربته أخذت حقها من الوضوح والظهور ، ولم يكن صدئاً يردد أقوال غيبه دون معرفة ودون تذوق فأقرأ قصة خلوته في جبل قاسيون يوم أن قدم من الحجاز إلى دمشق ، واقرأ ما تلقاه من إهامات في تلك الخلوة ، ثم أعد قراءته وأطل فيه التأمل ، لتبصر أن تجاريها كانت الباعث الأول على الكتابة والحديث ، وأن مشاهداته كانت مادته الأولى فيما يقوله من نثر ومن شعر .

لقد لاذ بمعارة في جبل قاسيون وانقطع عن الأنس ، وعزل نفسه عن كلّ ما حوله من العالم ، ولا طعام عنده ولا شراب ، ولا ذكرى في نفسه ولا خاطر في قلبه ، جمع ذاته كلّها واتّجه به إلى الله ذاكراً مسبحاً مقدساً ، طالباً من الحضرة الآلهية أن تمنَ عليه بالقبول وأن تشمله بالمنائح وتفيض عليه بالألطاف ، وتطورت به الحال حتى غاب عن نفسه واستغرقه جمال ذات مولاه العليّ الأعلى ، فهتف به هاتف ، أو لنقل أنّ قائلاً وقف وألقى إليه : « يا مسكين هو القريب منك وأنت بعيد عنك ، هو القريب منك بالعينية وأنت بعيد عنه بوهيمية الغربة . إنما تطور فيك لتكميل به ، ويكميل فيك لا لتحتجب بوهيمية التعذّد لديك عن إدراك حقيقة التوحيد فيك . هو عند كل شيء بجواهر ذاته لا بكلّيته ... ». والالقاء طويل ، ونذكر منه أيضاً : « ما دمت تتطلّب الوصول إليه ، فأنت محجوب عنه بتوهّم الانفصال منه . بقاوئك بك عين فناءك . حُجبت بصورته عن إدراكه حقيقته . لولا وقوفك عند حدودك لما تخلّفت عن شهودك . تحقّق جواهرك ، وإنعم فيه نظرك ، ودع أولك وآخرك ، فبأولك الوهمي تقصّر عن شهودك ، وبوقوفك مع آخرك تقع في حصر وجودك ... ». وبين هذا الالهام الذي تلقاه الشيرازي العارف المكاشف ، وبين ما تلقى ابن عربي أو تلامذته فروق واضحة في الأسلوب والمنحي والحرارة الداخلية ، لكنّ تشابهاً في المعاني وتماثلاً في المقاصد واتفاقاً في الروح ، هذه أمور لا يمكن أن

تستر وتختفى .

وقد يكون من الخير أن أنطوف الآن قليلاً ، لأشغل في تصحيح ما وقع فيه ناسخ الرسالة الأولى من خطأ ، فقد كتب في بدء المجلدة أسماء الكتب والرسائل التي نسخها وجمعها ، وأثبتت بعد المقدمة مباشرة نسخة مصورة لهذه الصفحة .  
ويذكر ، كما هو مرئٌ : « كتاب تحفة الروح والأنس في معرفة الروح والنفس » ، ثم يذكر اسم المؤلف قائلاً : « تأليف الإمام الراسخ والعارف الأوحد الباذخ ، حسين بن حمزة بن محمد الشيرازي البالسي ... ». وتوجد هذه المجموعة في المكتبة الظاهرية بدمشق ، تحت رقم ( ٥٤٣٥ ) ، وليس في المجموعة إشارة إلى تاريخ النسخ ولا إلى مكانه .

والثابت الأكيد الذي لا تحتاج معه إلى كثير من الأخذ والردّ ، أن اسمه ( حسن ) ، وليس ( حسين ) ، وذلك كما يذكر هو نفسه قدس الله سره في الرسالة الثانية : ( رسالة الأذكار الموصولة إلى حضرة نور الأنوار ) ، فمن يقرأ الرسالتين ، يتمتع ولا شك بلذة اليقين والقناعة ، بأن المؤلف واحد ، ولا محل للاحتمال بأن يكونا إثنين ، أي أن يكونا أخوين مثلاً ، أو أن يكون الالقاء باسم الأب والجده والانتساب إلى شيراز من باب التصادف .

وكذلك في نسبته ، يقول الناسخ : ( البالسي ) ، وهي نسبة إلى ( بالس ) ، البلدة التي تقع بين حلب والرقة ، كما يذكر

ياقوت في الجزء الأول من ( معجمه ) . ومع أن ياقوت يذكر في ترجمة هذا البلد أسماء بعض الأعيان الذين تسبوا إليه ، ومنهم أبو بكر محمد بن حسن الشيرازي ، أقول ومع ذلك كله ، فالصحيح الثابت أن نسبة هذا المؤلف العقري الفريد هي : ( البلاسي ) ، وليس : ( البالسي ) . وحاجتنا في ذلك شاخصة واضحة في ( لسان العرب ) مادة / بَلَسْ ، يقول ابن منظور : « والبِلَاسُ : الْمِسْنَحُ ، والجُمْعُ بُلُسٌ » . قال أبو عبيدة : ومما دخل في كلام العرب من كلام فارس المِسْنَح تسميه العرب البِلَاسُ ، بالباء المشبع ، وأهل المدينة يسمون المِسْنَح بَلَاسًا ، وهو فارسي معرّب . ومن دعائهم : أَرَانِيكَ اللَّهَ عَلَى الْبَلَسِ ، وهي غرائر كبيرة من مسوح يجعل فيها التين ويُشهر عليها من ينكّل به وبنادى عليه ، ويقال لبائعه البِلَاسُ » .

ثم إن المؤلف نفسه يذكر نسبته في الرسالة الثانية ( رسالة الأذكار ) ، بأنه ( الشيرازي الصوفي المعروف بالشرف البلاسي ) . وهذه حجّة ثانية ليس إلى دفعها أو الطعن بها من سبيل ، ولعل في قوله : ( البلاسي ) لغة أخرى تقال لبائع البِلَاسِ ، لو أن ابن منظور صاحب ( لسان العرب ) ، وقع عليها لأضافها في مادة / بَلَسْ .

فللتذكّر مع قول أبي عبيدة : « ومما دخل في كلام العرب من كلام فارس المِسْنَح تسميه العرب البِلَاسُ » ، ومع قوله : « وهو فارسي معرّب » ، لتذكّر مع هذين القولين ، أن حسن

بن حمزة يعود في أصله إلى بلاد فارس ، كما حققنا ذلك في المقدمة .

وأما عن الرسالة الثانية : ( رسالة الأذكار الموصولة إلى حضرة نور الأنوار ) ، فقد جمعني الله بها في المكتبة الوطنية بباريس ، وهي ، مع مجموعة أخرى من الكتب ، تقع تحت رقم : ٣١٧٥ ، ويعود تاريخ نسخها إلى عام ست وثمانين وتسعمائة . وبقدر ما فرحت بالعثور عليها كان أسفـي ، لأن المقدمة تحيا وحدها بدون التتمة ، ولشدـ ما تلهـت لاحظـى بهذه التتمـة ، لكنـني لا أزالـ في هذه اللـهـفة أسعـي السـعـي الخـيـث لأـبلغ مـكان وجودـها .

وقد بقيـ أنـ أـعـترـفـ بـأـنـيـ لمـ أـصـنـعـ شـيـئـاـ فيـ هـذـهـ المـقـدـمةـ ،ـ ماـ سـوـىـ الاـشـارـةـ إـلـىـ هـذـاـ العـظـيمـ الـمـجهـولـ ،ـ الـذـيـ كـانـ يـبـصـرـ بـذـوقـ الصـوـفيـ وـيـدـرـكـ بـإـحـسـاسـ الـفـيـلـيـسـوـفـ وـيـكـتـبـ بـعـقـلـ الـحـكـيمـ .

### صالح عضيمة

باريس في : ٦ / ٧ / ١٩٨٦



وزارت اسناد و کتابخانه ملی

ملء من المحن العبارك  
 في سبب جنة  
 كتاب يشمل علمي  
 الهمزة والفتح العجم  
 مالك الشافعى المزغت  
 الواسطى  
 ١٥٢٠

كتابة الحلام  
 لأهول ولاقوة الاباه  
 مالك الشافعى المزغت  
 الواسطى

وفيه نبذة من كتاب التعرف  
 إلى زهد القسوة للكلاباذج  
 وفيه وتحميم  
 في شرح رسالة الشيخ  
 رسولان نفعنا الله به حاتمة  
 الدين

وفيه كتاب  
 التعزى لعزى الحب  
 قدس الله روحه  
 وفيه اصنا صند

تلقين الذكر وليس الغرفة  
 المباركه المتصل سنتها  
 لمن يحيى صلى الله عليه وسلم

وفيه أيضاً فتح الود وتحريم إدلة الأدلة للهارج  
 عند الرهن بن أبي بكر بن داوده تلميذه الشيخ أبو هريرة بن علي بن عبد  
 ابن عبد الله بن قادره حتى الله عنيهم أمير أمير أمير

وفيه أيضاً  
 كتابة الروح والآنس في معنفه الروح والنفس  
 قاليف الإمام المسنون والعام في الأدواء  
 البادج حسين بن حمزه بن محمد بن  
 عبد الله اليه ولذ البالسو  
 قدس الله روحه ونوره

ألم يكتب  
 رسم ٤٥٥ فوج



سازمان اسناد و کتابخانه ملی  
جمهوری اسلامی ایران

لِسْمُهُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ  
الله الذي تجلى لآسرار المؤمنين  
وتجلى لعلوم المؤمنين بعلمه  
الي نقوص العادفين بوجود منه  
الموقتين بحقيقة متعاليه من  
الواح المؤمنين باقدام البرعين  
في الزلازل الروى من مرف التوحيد  
فيما انه من واحد تعدد في  
من فيه متقدمة في العبر والجلاة  
احديته عن الجنس فلامبوم  
وتقدس بسم صديته عن الـ  
الاـهـيـهـ والصلـاهـ الـتـيـ عـىـ الصـلـهـ  
والصـيـهـ، وعـىـ اللهـ دـوـيـ المـرـتبـ  
اـولـ المـقـامـاتـ السـنـيهـ، وعـىـ  
الـرـبـيـةـ المـرـضـيـهـ وعـىـ اـخـوانـهـ دـوـدـ  
زـيـدـ فـعـذـهـ رـفـاقـ هـلـامـاتـ مـرـفـانـيهـ وـلـكـاتـ وـجـدـانـيهـ وـاشـارـاتـ عـرـشـهـ  
وـقـوـيـاتـ تـلـمـيـهـ سـطـرـتـ باـقـلـاـمـ شـفـودـيـهـ عـلـيـ اوـرـاقـ وـجـودـيـهـ

وـسـيـيـتـ بـعـقـدـهـ الـرـوـحـ وـالـاـنـسـ فـمـرـفـةـ الـرـوـحـ وـالـنـفـسـ وـرـبـيـتـ  
عـلـيـ مـقـدـمـهـ وـتـلـاتـ تـبـيـهـاتـ المـقـدـمـهـ فـبـيـانـ مـرـفـةـ مـلـاطـقـ  
عـلـيـهـ لـفـظـ الـرـوـحـ اـنـ، وـأـفـاقـ اـطـلـعـكـمـ اللـهـ عـلـىـ حـقـيقـ الـكـابـ  
الـمـسـطـورـ وـأـقـذـكـمـ عـلـىـ قـاتـيـقـ الـرـوـقـ المـنـشـورـ أـنـ لـفـظـ الـرـوـحـ بـلـطـقـ  
عـلـىـ مـحـنـ مـخـتـلـفـ بـهـارـاتـ مـبـاـيـنـةـ شـتـىـ لـكـ عـبـارـةـ بـمـنـهاـ مـعـنـ



وزارت علوم، تحقیقات و فناوریهای اسلامی

# رسالہ لذکار

٣) الصفحة الأولى من نسخة المكتبة الوطنية بباريس ، رقم : ( ٣١٧٥ ) .  
٤) الأذكار . المصلحة ١١ . حضرة نور الأنوار .



مرکز تحقیق و پژوهش میراث اسلامی

الرسالة الأولى



وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی

## رسالة « تحفة الروح والأنس في معرفة الروح والنفس »

وهو حسي

الحمد لله الذي تجلى لأسرار الموحدين بذات مقدسة عن الأنانية ، وتجلى القلوب الموحدين بعظمة منزهة عن الكيفية ، وتعرف إلى نفوس العارفين بوجود منزه عن الكمية ، وتحقق إلى أباب الموقنين بحقيقة متعالية عن اللمية ، وسفى من مشرع التحقيق أرواح المؤمنين بأقداح البراهين العقلية والأدلة النقلية ، فلم يكُن من الزلال الروي من عَرَفَ التوحيد غير المتقين من الشرك والشتوية ، فسبحانه من وأحد توَّهَدَ في أزل الآزال بأحكام الأحادية ، وتبارك من فرد تفرد في العز والجلال بنعوت الصمدية ، وتعالى بعلوه أحديته عن الجنس فلا يحوم حول سُرُّداق كبراءه سؤال الماهية ، وتقديسَ بسمَّ صمديته عن النوع فلا يرثي سهم الورم إلى حمى عزته الألهية . والصلة التي هي الصلة على ذات محمد ذي المعالي العقلية والحسية ، وعلى آله ذوي المراتب العلوية القدسية ، وعلى أصحابه أولى المقامات السنوية ، وعلى أتباعه ذوي المكارم والأخلاق الرضية المرضية ، وعلى إخوانه ، وورثته<sup>(١)</sup> أرباب المناقب الشريفة العلوية .

وبعد ، فهذه رفاقت كلمات عِرفانية ، ونكتات وجدانية ، وإشارات عرشية ، وتلويمات لوحية ، سُطّرت بأقلام شهودية على أوراق وجودية ، وسميت بتحفة الروح والأنس في معرفة الروح والنفس ورُتّبت على مقدمة وثلاثة<sup>(٢)</sup> تبيهات .

## المقدمة

### في بيان معرفة ما أطلق عليه لفظ الروح

إعلموا رفاقى — أطلعكم الله على حقيق الكتاب المسطور ، وأوقفكم على رائق الرق المنشور — أن لفظ الروح يطلق على معانٍ مختلفة متباعدة شتى ، لكل عبارية منها معنى .

فيُطلق ويراد به الملائكة الكروبيون المهيمنون في طاعة الله عز وجل . وهم طائفة ليس عندهم علم ولا شهود إلا جل جلال الله عز وجل ، لا يعرفون أن الله تعالى خلق خلقاً سواهم لاشتغافهم به تعالى عما سواه ، فهم هائمون في شهود جلاله . ونظيرهم من البشر الأفراد الخارجون عن دائرة الأقطاب المشار إليهم بقوله عليه الصلاة والسلام ، فيما روى ابن عباس رضي الله عنهما : « أن رسول الله صل الله عليه وسلم خرج ذات يوم على قوم يتفكرون ، فقال : ما بالكم لا تتكلمون ؟ فقالوا : نتفكر في خلق الله ، قال : فكذلك فاعملوا ، تفكروا في خلق الله ولا تفكروا فيه ، فإن بهذا المغري أرضاً يضاء نورها بياضها (أو بياضها نورها) ، مسيرة الشمس « فيها » أربعون يوماً ، بها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا الله تعالى طرفة عين ، قالوا : يا رسول الله فأين الشيطان منهم ؟ قال : ما يدركون خلق الشيطان أم لا ؟ قالوا : من ولد آدم هم ؟ قال : ما يدركون خلق آدم أم لا ؟ (٣) . وروي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق آنَّه قال : « من وراء عالركم هذا ستة وثلاثون ألف عالم ، في كل عالم ستة وثلاثون ألف مدينة ، في كل مدينة ستة وثلاثون ألف باب ، على كل باب ستة وثلاثون ألف نفس منفحة (٤) ، لا يعلمون أنَّ الله خلق آدم ولا ذريته ، هم أعرف بنا وأطوعُ من أحلكم (٥) هواه ، وهم على ذلك لا يعلمون أنَّ الله خلق

خلقاً ولا أنزل كتاباً<sup>(٦)</sup> . قلت هذان الحديثان يطول فيما نظر الناظر ولا يستوفي العارف بمحار المعرفة التي أفاضها الله تعالى عليهم وإن عمر عمر نوح . وبطريق ويراد به الملائكة المسخرة الذين هم عماد السموات والأرض ، « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »<sup>(٧)</sup> ، سخّرهم الله عز وجّل للأنسان في جميع مصالحه دنيا وبرزخاً وأخرى .

ويُطلق ويراد به الأرواح المدبّرة لأجسامنا التي قضى الله عليها الموت وسخر بعضها لبعض<sup>(٨)</sup> . فالأرواح المهيّمة حائرة والأرواح المسخرة ذاكرة والأرواح المدبّرة ناهية وأمرة .

ويُطلق ويراد به الروح الذي ينفتح منه عند كمال تسوية الخلق ، وهو الروح الذي سُئلَ عنه رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يُجْبَ عنه حتى نزل عليه قوله تعالى : « وَسَأَلُوكُنَّكَ عَنِ الرُّوحِ قَلِّ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي »<sup>(٩)</sup> . وقيل : « هو مَلِكُ عَظِيمٍ يَقُومُ وحْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَفَا وَالْمَلَائِكَةُ صَفَا »<sup>(١٠)</sup> . واعلم أنَّ حرف ( من )<sup>(١١)</sup> هنا لتبين الجنس لا للتبعيض ، يَبْيَنُ به أنَّ الذي يصلح للمكلف أن يطلع عليه من حقيقة هذا الروح هو أن يعلم أنَّ هناك شيئاً من عالم الأمْرِ لا من عالم الخلق ، وعالم الأمر هو كُلُّ ما صدر عن الله تعالى بغير واسطة إلَّا بمشافهة الأمر الرباني الوحداني ، وهو السبب الثاني بالإضافة إلى الوجود المطلق ، والسبب الأول بالإضافة إلى الوجود المقيد ، فهو أول في المبدعات . وعالم الخلق هو كُلُّ ما صدر عنه تعالى عند سبب متقدم من غير مشافهة الأمر العزيز . قال الله تعالى : « أَلَّا هُوَ الْخَلُقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ »<sup>(١٢)</sup> . و ( لام ) له ، هنا بمعنى منه ، وليس للملُكِ بل بمعنى الصفة ، كما يُقال : له خيل وجمال ودار وعقار ، ومقام له دون مقام ، فافهم وما فهمك إلَّا بالله .

ونسبة هذا الروح إلى البدن كنسبة الملِك إلى دار مملكته ، فهو الحكم والأمر والنافي ، والقلب كالمنزل الخاص له ، والأعضاء الحواس الظاهرة والباطنة كالخدَّام له ، ينهضون عند إشارته ويسكنون عند سكونه ، والعقل كالوزير له

والشهوّة كالخادم الموكّل بما يحتاج إليه منزله من المأكول والمشروب ومرمة ما تشعّت وإصلاح ما انهدم ، والغضب كالحاجب الذي إلى السياسة وإصلاح دار مملكته ليذلّ اعداءه ويعزّ أولياءه . سُئلَ شِيخنا شيخُ الطريقة وإمام الحقيقة جنيد<sup>(١٣)</sup> البغدادي قدّسه الله عن حقيقة الروح ، فقال : « إنَّه موجودٌ استائر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه ». فلا يجوز العبارة عنه بأكثر من أنه موجودٌ أهري ، لأنَّه لم يرد الشرع بالأدلة في ذلك إلَّا أنه « من أمر ربِّي ». وسُئلَ الشِّيخُ الكَاملُ صدرُ الدِّينِ محمدُ بنِ اسحاقِ المطلي<sup>(١٤)</sup> قدّسه الله عن الروح ، فقال : « الروح عبارة عن حصبةٍ من مطلق الوجود منصبةٍ بأحكام الحياة والعلم والإرادة والقدرة على وجه السلطة فيها للحياة ». وبالجملة فلا يمكن لأحد أن يعرف الروح بأكثر مما عرَّفنا به الله تعالى في كتابه العزيز وهي كافية لمن له فطنةٌ وآفةٌ .

ويُطلقُ ويُرادُ به النورُ الذي يمجده<sup>(١٥)</sup> أهلُ الله عَزَّ وجَلَّ عند الانقطاع إليه بالهيمَّ والعبادة ، وهو نورٌ موهَّبٌ من حضرةِ الربوبية لا من غيرها من الحضرات . وأصله من الروح الأمري الذي لم يوجد عن خلق ، وهو النفسُ الرحماني المشارُ إليه بقوله عليه السلام : « إِنِّي لَأَجُدُّ نَفْسَ الرَّحْمَنِ مِنْ قِبْلِ الْيَمِّ »<sup>(١٦)</sup> . اليَمِّ في العالم الكبير هو عبارة عن العرش المستوي عليه الرحمن ، وفي العالم الصغير هو عبارة عن العرش الذي عليه الله وهو قلبُ العبد المؤمن المستغرق في الشهودِ الذي لا يلوّي إلى شيء ، وذلك لأنَّه حُمُّرٌ في وجوده تعالى لا يشهدُ غيره ولا يرى سواه . وهبنا نكتةٌ وجدانيةٌ وهي ، أنَّ أُوسِيَا<sup>(١٧)</sup> قدّس الله سُرُّه كان في ناحية اليَمِّ من قبيلةٍ يُقال لها القرن ، ولم يكن له اجتماعٌ حسنٌ مع رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكانت أمُّه تكره مفارقته إِيَّاهَا ، ولم تأذن له بالهجرة إلى رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكان لأجل ذلك دائم التلهيف والتَّحسُّر والتَّائِلَه<sup>(١٨)</sup> والتَّحِيرَ فَيَقْطُنُ بِهِ جنونٌ . وكان كلَّما حَنَّتْ طبيعته الثائرة إلى مشاهدة الحضرة النبوية وتتواتر مشككاته بأنوار الطلعَةِ الحمدية، وهَمَّتْ نفسه

القاهرة إلى حصول الملاطفة الأحمدية عاقه رضاها عن التوجّه إليه ومنعته صلبة الرحيم عن المثول بين يديه ، مع (١٩) ما كانت قوته الروحانية حاكمة بـأأن الأرواح متلاقيه وإن تبانت الأبدان متناجية وإن تباعدت البلدان . وكانت قوته الطبيعية ودغمدغته الوهبية تتواجد على حصول المشاهدة الشخصية البدنية ، وتهالك على وصول الملاطفة الأنسيّة ، وتزعم أنّ بتلك (٢٠) سكون الببال وركون ذلك الخيال واستقرار تلك الخيلة تمام الاتصال . فكان في تلك الحال يخترُ ذكره بقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فينعكس نورُ ذكره عليه الصلاة والسلام إلى قلب أوس قدس الله سره ، فيجد عند ذلك نوراً وبهجةً وسروراً ، ويهب على قلبه من النفس الرحمني الموجود في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يُؤديه إلى شهود وجه الحق في تلك القواعط المانعة والموانع العائقة ، (٢١) فيجد بذلك النفس الرحمني حياة طيبة ويحصل في قلبه سكينة نورية ، فيسكن رضي الله عنه عن تلك الحركة الشوقية الموجبة لفارقته أمه ويعود إلى خدمتها وقد ارفع عن حجاب ظلمة المسافة الحسية لظهور نور النفحات القدسية المشرق على قلبه بواسطة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه ، فبُعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا النور الرياني والسرّ الآلهي بالنفس الرحمني ، فإنّ به صار من صار حيّاً إذ النفس الرحمني هو الحياة السارية في الموجودات لأنّ حركة وجود ، به وفيه ومنه تعين الموجودات كلّها ، وهذا النور هو المشار إليه بقوله تعالى : « وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا » (٢٢) ما هو تحت كسبك ولا تملّك لك خاطر بتحصيله « ... ما كنت تدرّي ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من شاء من عبادنا » (٢٣) . فأويس ومن كان على قلبه وقدمه ، أي تقليه في الأحوال والأعمال ، هو من شاء من عباده ، فلا مانع من أن يُقال لهم عند حصول ذلك النفسي الرحمني وإشراق ذلك النور الرياني وظهور ذلك السرّ الآلهي . فلان صاحب نفس أو ذو روح أو حي وقد التحق بالأشياء ، وهو المشار إليه بقوله تعالى : « أو من كان مينا فأحببناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس » (٢٤) ، وقوله : « يهدى الله لنوره من يشاء » (٢٥) ، وقوله : « ومن لم

يَجْعَلُ اللَّهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ<sup>(٢٦)</sup> ، فَكَانَ «يَجْعَلُ اللَّهُ» لَمْ يُضْفِهِ إِلَى  
الاكتساب بَلْ هُوَ عَطَاءُ الْمَلِكِ الْوَهَابِ .

وَيُطْلُقُ وَيُرَادُ بِهِ الْبَخَارُ الْمُتَوَلَّدُ مِنْ لَطِيفَاتِ الْأَخْلَاطِ الْأَرْبَعَةِ ، وَهُوَ مَا احْتَوَى  
عَلَيْهِ تَجَاوِيفُ الْقَلْبِ الصَّنَوِيرِيِّ . وَالرُّوحُ هُوَ مَا رُوَحَ هَذَا الرُّوحُ وَمَا دَخَلَ فِي أَلْهَةِ  
التنفسِ بِالانْقِبَاضِ وَخَرَجَ بِالانْسِطَاطِ ، وَهَذَا الرُّوحُ مُبْثُوثٌ فِي الْهَوَاءِ وَالْمَوْضِعِ  
الْخَالِيَّةِ مِنَ الْعَالَمِ الْأَكْبَرِ كَانِثَاتُ الرُّوحِ فِي الْمَوْضِعِ الْخَالِيَّةِ مِنَ الْقَلْبِ وَالْعَرْوَقِ  
الضَّارِيَّةِ فِي أَنْخَاءِ الْجَسْمِ الْمُتَشَبِّعِ فِيهِ<sup>(٢٧)</sup> ، وَإِلَيْهِ الْاِشْتِرَاةُ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ : «لَا تَسْبِّوا الرُّوحَ فَإِنَّهَا مِنْ نَفْسِ الرَّحْمَنِ»<sup>(٢٨)</sup> ، أَيْ فَإِنَّهَا مَمَّا يَنْفَسُ  
اللَّهُ بِهَا عَنْ عِبَادِهِ . وَمِنْ هَنَا قِيلَ الرُّوحُ بَاطِنُ مَصْوَرُ الصُّورِ لِأَنَّهُ نَفْسٌ ،  
وَالصُّورَةُ جُزْءٌ مِنْ صَوْرَهَا إِذَا نَفَحَ فِيهَا رُوحًا فَإِنَّهُ فِيهَا مِنْهُ .

وَيُطْلُقُ وَيُرَادُ بِهِ النَّفْسُ النَّاطِقَةُ ، وَهِيَ الْقُوَّةُ الْأَلْهَمِيَّةُ السَّارِيَّةُ مِنْ قَلْبِ الْعَالَمِ الْأَكْبَرِ  
إِلَى قَلْبِ الْعَالَمِ الْأَصْغَرِ ، الْمُتَصَلِّهُ بِنَا الْغَيْرُ مِنْفَصِلَةُ مِنْ عَالَمِهَا التَّمَدِّدُ بِمَا يَكُونُ قَبْلَ  
كُونِهِ الَّتِي هِيَ ، دُونَ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ ، تَعْطِينَا مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ بِالْعُلُوَّيَّاتِ الْكَلِّيَّاتِ  
وَالسَّفَلِيَّاتِ الْجَزِئِيَّاتِ وَإِنْ كَانَ هَا فِي عَالَمِنَا لِلْجَزِئِيَّاتِ شَرِيكٌ مِنَ الْحَوَاسِّ ، فَهُوَ  
الْمُتَوَحِّدَةُ بِإِعْلَامِنَا أَمْرَ الْكَلِّيَّاتِ بِغَيْرِ تَوْسُطِ الْحَوَاسِّ . وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ قَدْ نَصَلَ إِلَيْهَا  
بِالْعُقُولِ الْصَّافِيَّةِ دَفْعَةً وَبِالرَّؤْيَا الصَّادِقَةِ أُخْرَى عِنْدَ إِطْلَاعِ مَا يَخْصُّنَا مِنْهَا إِلَى مَا  
حَوْلُنَا وَتَنْذَكِرُ مَا فِي طَبِيعَهَا عِلْمَهُ . وَمِنَ الْأَكْيَاسِ مِنْ يَنْظَرُ أَنَّهَا مَمَّا سِيْكُونُ قَبْلَ  
كُونِهِ ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الرُّوحِ الْبَخَارِيِّ وَالرُّوحِ الْأَلْهَمِيِّ الْمُسَعَّى بِالنَّفْسِ النَّاطِقَةِ أَنَّ  
الرُّوحُ جَسْمٌ لَطِيفٌ وَالنَّفْسُ النَّاطِقَةُ لَيْسَ بِجَسْمٍ ، وَالرُّوحُ يَحْوِيُّ الْجَسْمَ وَالنَّفْسَ  
النَّاطِقَةَ لَا يَحْوِيُّهَا الْجَسْمُ ، وَالرُّوحُ إِذَا فَارَقَ الْجَسْدَ بَطَلَ وَالنَّفْسُ النَّاطِقَةُ إِذَا فَارَقَتِ  
الْجَسْدَ ، أَعْنِي إِذَا فَسَدَ مَرَاجِعُ الْبَدْنِ بِالْكَلِّيَّةِ ، بَطَلَتْ أَفْعَالُهَا مِنَ الْبَدْنِ وَلَمْ تَبْطَلْ  
هِيَ فِي ذَاتِهَا ، لِأَنَّهَا جَوْهَرٌ رُوْحَانِيٌّ غَيْرُ جَسِيمٍ وَلَا جَسْمَانِيٌّ . وَلَيْسَ ذَاتُ حَمَلٍ  
وَلَا ضَدَّ لَهَا وَلَا مَرَاجِعٍ ، وَمِبْدُعُهَا دَائِمٌ فَتَدُومُ بِهِ ، وَلَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَدْنِ إِلَّا عَلَاقَةٌ  
عَرَضِيَّةٌ شَوَّقَيَّةٌ لَا يَبْطَلُ بِيَطْلَانِهِ الْجَوْهَرُ . وَالنَّفْسُ النَّاطِقَةُ تَخْرُكُ الْبَدْنَ وَتُنْيِلُ الْحَسْنَ

والحياة بتوسيط الروح ، والروح تَفْعِلُ ذلك بغير تَوْسِيْط ، والنفْسُ الناطقة تَمْرَكُ الْبَدْنَ وَتُنْبِلُهُ الْحَسْنَ وَالْحَيَاةَ فَإِنَّهَا أَوْلَى عَلَيْهِ لِذَلِكَ وَفَاعِلَةٌ فِيهِ ، وَالرُّوحُ تَفْعِلُ ذَلِكَ وَهِيَ عَلَيْهِ ثَانِيَّةٌ ، فَالرُّوحُ إِذْنَ قَرِيبَةِ حَيَاةِ الْبَدْنِ وَحْسَهُ وَحْرَكَهُ وَبَاقِي أَفْعَالِهِ ، وَالنفْسُ الناطقة عَلَيْهِ بَعِيدَةٌ لِذَلِكَ . وَذَلِكَ أَنَّ الْأَنْسَانَ لِمَا كَانَ مَرْكَبًا مِنْ أَجْزَاءٍ صَلْبَيَّةٍ وَهِيَ الْعَظَامُ وَالْغَضَارِيفُ وَالْأَعْصَابُ وَالْعَروقُ وَمَا أَشْبَهُ ذَلِكَ ، وَمِنْ أَعْصَاءِ رَطْبَةٍ وَهِيَ الْأَحْلاطُ الْأَرْبَعَةُ ، أَعْنِي الدَّمُ وَالْبَلْغَمُ وَالْمَرَّةُ الصَّفَرَاءُ وَالْمَرَّةُ السَّوْدَاءُ أَوْ مِنْ الرُّوحِ الَّذِي فِي تَجْوِيفِ الْقَلْبِ وَالْدَّمَاغِ وَالشَّرِيَانَاتِ وَالْأَعْصَابِ ، وَلَأَنَّ الرُّوحَ أَرَقَ هَذِهِ الْأَجْزَاءَ وَأَطْفَلَهَا وَأَصْفَاهَا ، كَانَ ذَلِكَ أَشَدَّ قَبْلًا لِفَعَالِ الناطقةِ مِنْ سَائِرِ أَجْزَاءِ الْبَدْنِ ، وَعَلَى قَدْرِ ذَلِكَ مِنْ رَقَّتِهِ وَلَطَفَهُ وَصَفَاءِهِ قَبْلَ مِنْ فَعَالِ الناطقةِ ، وَكَذَلِكَ قَالَتِ الْفَلَاسِفَةُ : إِنَّ قَوْيَ النَّفْسِ تَمَامِيَّةً لِمَزَاجِ الْبَدْنِ ، كَمَا أَنَّهَا تَمَامٌ لِجَسْمِ طَبِيعِيِّيِّيَّ الَّذِي حَيَا بِالْفَوْءَةِ<sup>(٢٩)</sup> . وَهِيَ فِي الْجَسْمِ بِمَنْزَلَةِ الصُّورَةِ فِي الْمَبْيَوْلِ ، وَالْجَسْمِ لِلنفْسِ الناطقةِ كَالْمَبْيَوْلِ لِلصُّورَةِ ، فَمَنْ كَانَ مَزَاجُ بَدْنِهِ فِي غَايَةِ الْاِسْتِوَاءِ كَانَ أَفْعَالُ النفْسِ فِيهِ فِي غَايَةِ الْاِسْتِوَاءِ ، وَمِنْ قَصْرِ مَزَاجِ بَدْنِهِ — أَعْنِي الْأَعْصَاءِ الَّتِي فِيهَا الرُّوحُ — عَنِ الْاِعْتِدَالِ الْمُخْصُوصِ بِهَا قَصْرٌ أَيْضًا الرُّوحُ عَنِّي أَعْصَاءِ الَّتِي فِيهَا الرُّوحُ لِمَنْ الرَّقَّةُ وَاللَّطْفُ وَالصَّفَاءُ ، كَمَا قَصَرَتِ<sup>(٣٠)</sup> أَفْعَالُ النفْسِ فِيهِ لِتَلْكَ الْعَلَةِ . وَلِذَلِكَ صَارَتْ قَوْيَ النفْسِ فِي الصَّبِيَانِ نَاقِصَةً ضَعِيفَةً ، وَكَذَلِكَ فِي الْأَمْمِ الَّتِي غَلَبَ عَلَى أَمْزِجَتِهَا الْحُرُّ وَالْبَرْدُ ، وَكَالزَّنْجُ وَالصَّقَالِبَةِ وَمَا نَاسَبَ بِهَايَنِ الْأَمْمَيْنِ ، وَلِذَلِكَ أَيْضًا اخْتَلَفَتْ أَفْعَالُ النفْسِ فَصَارَتِ فِي الرُّوحِ الَّذِي فِي الْقَلْبِ الْحَيَاةُ وَالنَّفْسُ وَالْقَبْضُ فَقْطَ . إِذْ ذَلِكَ الرُّوحُ أَقْرَبَ الْأَرْوَاحَ إِلَى الْهَوَاءِ وَأَقْلَاهَا رَقَّةً وَلَطْفًا وَصَفَاءً ، ثُمَّ الرُّوحُ الَّذِي فِي تَجْوِيفِ مَقْدَمِ الْدَّمَاغِ صَارَ فِيهِ الْحَسْنُ وَالْتَّخَيَّلُ لِمَا نَالَهُ مِنْ زِيَادَةِ الرَّقَّةِ وَاللَّطْفِ وَالصَّفَاءِ عَلَى الَّذِي فِي تَجْوِيفَاتِ الْقَلْبِ ، ثُمَّ الرُّوحُ الَّذِي فِي مُؤَخَّرِ الدَّمَاغِ صَارَ فِيهِ الْذَّكْرُ وَالْحَفْظُ لِمَا يَحْتَاجُ فِي ذَلِكَ إِلَى فَضْلِ الرَّقَّةِ وَاللَّطْفِ وَالصَّفَاءِ عَلَى مَا تَقْدِمُهُ مِنَ الْأَرْوَاحِ ، إِذَا كَانَ يَرِيدُ أَنْ يَذْكُرَ أَشْيَاءَ قَدْ قَضَتْ وَبَعْدَ عَهْدَهَا . فَهَذَا مَا أَرْدَنَا إِلَيْرَادِهِ فِي هَذِهِ الْمَقْدِمَةِ ، وَاللَّهُ الْمُوقَّعُ لِلصَّوَابِ وَالْمَادِي إِلَى وَحدَةِ الْعُقْلِ الْوَهَابِ .

## الباب الأول

### في بيان معرفة وحدة النفس الإنسانية عقلاً ونقلأً

يعلموا رفاق حُقُّكم الله بحقائق ذواتكم وأطلعكم على رقائق أسمائكم وصفاتكم ، أنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ هي حقيقةٌ واحدةٌ بالذات ، متکثرةٌ بالأسماء والصفات . فباعتبارات يُعْبَرُ عنها بعبارات ، فتُسمَّى تارةً روحًا أمريًا وتارةً لطيفةً مدركةً وتارةً كلمةً طيبةً وتارةً كلمةً جامِعَةً فاصلةً وتارةً نفسًا مُطْبِعَةً وتارةً نفسًا ناطقةً وتارةً عقلاً ولبًاً وهنَّ وحاجةً وغريزةً . وإنْ كانَ كُلُّ واحدٍ من هذه الألفاظ يُطلق على معنى مشتركٍ بينه وبين تلك المعاني ، إذ القوم قد يطلقون القلب على الروح وبالعكس ، ويريدون بالروح تسمية الفلسفية نفسًا ناطقةً ، ويسمونه روحًا أيضًا . وأمَّا النَّفْسُ فعند الصوفية هي الأوصاف المذمومة والروح هي الأوصاف الحمودة ، ولا إربٌ لنا في الألفاظ وإنما المقصود المعنى ، ولا مشاحة في الألفاظ والأسماء والألقاب إذا فهم المعنى ، والله دُرُّ القائل :

عباراتنا شتى وحسنُكَ واحدٌ وكلُّ إلى ذاك الجمال يُشيرُ

وأمَّا الدليلُ العقلي على أنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ التي هي خاصيَّةُ الإنسان واحدة لا اختلاف فيها بالحقيقة والذات بل بالأخلاق والصفات التي هي من توابع مزاج البدن ، وهي من العوارض العارضة لذات النفس ، هو (٣١) أنَّ التَّفَوُقُ كُلُّها فاضت من مبدأً واحدٍ بسيط هو المسمى عند الحكماء بالعقل الأخير الفعال الواهِبُ للصور ، وهو لا تركيب فيه ولا اختلاف ، فيستحيل أن يكون في التَّفَوُقِ الفائضة منه اختلاف بالحقيقة ، لأنَّ اتحادَ العلَى علة اتحاد المعلول كما عرفوا ، من أنَّ القاعدة القطعية المشهورة : أنَّ الواحدَ لن يصير مصدرًا لاثنين

مختلفين فقط<sup>(٣٢)</sup> . وأيضاً لو اختلفت النفوس بالذات حتى كانت كالجنس وامتازت الأنواع بالفصول كان كل نوع منها مركبة من جنس وفصل ، وقد يرها على امتياز التركيب والانقسام فيها ، ولو كانت أيضاً كلها من نوع واحد لامتياز الأشخاص بالخواص والصفات ، فيلزم ما ذكر من استحالة التركيب باعتبار النوع لا باعتبار الصفات ، لأننا نقول : عروض الصفات الخارجية لا تُركب الذات ، إذ الصفة لا تدخل في حقيقة الذات ، أما الفصل الذاتي المميزة بين الأنواع فهي داخلة في الذات مركبة لها ، فالفصل هو الفصل في هذا الفصل .

وأما الدليل النقلي فكثير ، منه قوله تعالى : « هو الذي خلقكم من نفس واحدة »<sup>(٣٣)</sup> . فهذه الآية دلت على أنَّ مبدأ كلِّ النفوس واحد ، وقد عرفتم أنَّ اتحاد المصدر دليل اتحاد المصادر . ومنه قوله تعالى : « ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة »<sup>(٣٤)</sup> . فهذه الآية دلت على اتحاد المبدأ والمعدِّل للنفوس الإنسانية . ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « كُلُّ مولودٍ يولدُ على النطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويُمجسانه »<sup>(٣٥)</sup> . فهذا الحديث دلَّ على أنَّ النفوس الإنسانية كلُّها مفطرةٌ نطرةً واحدة ، إلا أنَّ رذائل الأخلاق والعادات ومساويَّة الأفعال والاعتقادات مما ينحسُّها ويُرجسُّها ويُخرجُّها عن طهارتها ونضارتها كتهود أبيه وتنصرُّها وتُمجسانهما . فثبت بهذه البراهين العقلية والأدلة النقلية أنَّ حقيقة الإنسان هي حقيقة واحدة مقدسةٌ عن الاختلاف في ذاتها ، وأنَّ جميع ما يطرأ عليها ليس إلا من المزاج المعيَّر عنه بالاستعداد ، وهو باب رحمة الملائكة الجواب . والقبول إنما هو بحسب الاستعداد ، فإنَّ النفس منفوخة ، فهي نفسٌ من روح طاهر مضارف إلى الحضرة المقدسة الآلهة المشار إليه بقوله تعالى : « فإذا سوتَه ونفخْتُ فيه من روحِي »<sup>(٣٦)</sup> . فليس ما يطرأ عليها إلا من المزاج . وللشيخ الأكمل الأكبر محي الدين محمد بن العربي قدس الله سره في هذا المعنى نظمٌ وهو هذا :

الروح واحدة والنشأ مختلف في صورة الجسم كان الأمر فاعتبروا في الجسم كان اختلاف النفس فاعتمدوا على الذي قلته في ذاك وادكروا (٣٧) فإنه العلم لا رب يُداخِلُهُ الشَّمْسُ تَعْرِفُ مَا قَنَاهُ وَالقَمَرُ

معناه أن نور الشمس هو على صفة واحدة فيضرُبُ في الزجاج المثلون فيعكسُ فيظهر فيه ألوان ما عليه الزجاج في رأي العين والنور في عينه ما تغير ، فافهموا المثل فإنه قد جل ، وكذلك التحول — أي التحول والتتشيل — فاعلمه ، وما المشار إلهما في قوله عليه الصلاة والسلام : « أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له أذير فأذير » (٣٨) . فهو المستفيد لتوحدِه المفيد . فيوجهه الذي يلي عالم الحكمة كأن يظهر للرسيل عليهم الصلاة والسلام ، ويُلقي أي القوة الجبريلية اليهم الوحي من الشعائر والشائعات لمصلحة سكان عالم الحكمة ، فينطلق للرسيل لسانان : لسان الموعظة ولسان المجادلة تبيأ لنفسوس خامرها الآباء والاستعصاء حتى تفيء إلى أمر الله فتحتوي كلمة الدعوة عليهم . فعلى هذا المعنى إذن قول الإمام عليَّ كرم الله وجهه : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » (٣٩) . وهي فصل الخطاب ، كأن من عرف نفسه عرف غبيه ، ومن عرف غبيه فقد عرف غيبَ الحق وما فيه من الملائكة والعلوم والعرش والكرسي والقلم واللوح . قبل العرش عقل ونفس وهباء وجسم ، والحملة اليوم أربعة وغداً ثمانية ، وهم : اسرافيل وأدم وما للصورة ، وجبريل ومحمد وما للأرواح ، ومكائيل وإبراهيم وما للأرزاق ، ومالك ورضوان وما للوعد والوعيد . ومن عرفَ غيبَ الحق عرف جبريل ، [ ومن عرف جبريل ] عرف حملة العرش ، ومن عرفَ الحملة عرف الأسماء والصفات بقدر استعداده ، ويعرف كل ذلك بوجهه الذي يلي عالم الغيب . ومن عرف وجه نفسه الباطنة الذي هو عالم الشهادة عرف نفسه الظاهرة ، ومن عرف نفسه الظاهرة عرف شهادته [ ومن عرف شهادته عرف ] شهادة الحق وما فيها من المكونات ، ومن عرف المكونات عرف الأخلاق ، ومن عرف الأخلاق عرف آدم عليه السلام ، ومن عرف عرف آدم عرف النبي الأمي العربي عليه السلام والصلاه من الله عز وجل ،

ومن عَرَفَ النَّبِيُّ الْأَمِيُّ عَرَفَ سائرَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمَنْ عَرَفَ سائرَ الْأَنْبِيَاءِ عَرَفَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِنَبَوَعِ الْوِجُودِ وَمَفِيضِ الْخَيْرِ وَالْحَيَاةِ . فَالْمَحَاصِلُ أَنَّ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ حَقٌّ مَعْرِفَتُهَا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ الْمَدِّ لِلَّهِ . وَلَا يَجِدُهُ شَيْئاً فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ، سَوْيَ الْأَمْرِ الَّتِي تَعْلَقُ بِظَاهِرِ الدُّنْيَا فَلَا يَعْرِفُ أَكْثَرُهَا وَيَجِدُهُ أَغْلَبُهَا كَمَا رُوِيَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ تَأْبِيرِ التَّخْلِ ، أَنَّهُ قَالَ : مَا أَرَى تَرَكَكُمْ تَأْبِيرَهُ مَضْرَرَةً تَحْصُلُ لَهُ ، فَتَرَكُوكُمْ تَأْبِيرَ التَّخْلِ فَقَسَدْتُ ثَمَارِهِ ، فَقَالُوا لَهُ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِأَمْرِ دِينِي » (٤٠) . فَكَانُوا أَعْلَمُ بِهَذِهِ ، وَلَمْ يَقْدِحُ ذَلِكَ فِي كُونِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمُ قَدْرًا مِنْ كُلِّ الْبَشَرِ . فَكَذَلِكَ حَكْمُ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ إِنَّمَا بَعْدَ مَعْرِفَةِ نَفْسِهِ بِالصُّورَةِ أَوْ بِالنَّقْيَضِ ، أَوْ قَبْلَ مَعْرِفَةِ كُلِّ شَيْءٍ فَإِنَّهُ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ لَهُ التَّقْدِيمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَفِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ ، فَإِنَّ نَظَرَ الْمَقْدِيمِ إِلَى التَّقْدِيمِ فِي رَتِيبَةِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُنَاكَ مَقْصِدُهُمْ وَمَطْلُوبُهُمْ . وَأَمَّا حَوَادِثُ الْأَكْوَانِ فَلَا تَعْلُقُ لَخَوَاطِرِهِمْ بِهَا ، وَكَذَلِكَ فِي تَرجِيعِ اللَّهِ رَأْيِ الْفَارُوقِ عَلَى رَأْيِ الصَّدِيقِ فِي قَصْيَةِ أَسَارِي بَدْرٍ ، وَهِيَ مَشْهُورَةٌ (٤١) ، مَعَ أَنَّ الصَّدِيقَ أَفْضَلُ مِنْهُ ، وَلَمْ يَقْدِمْ ذَلِكَ فِي كُونِهِ تَرْجُحَ عَلَيْهِ الْفَارُوقُ ، فَمَهْمَا اطَّلَعَ الْأَنْسَانُ عَلَى هَذِهِ الْمَوازِنةِ الَّتِي بَيْنَ الْأَنْسَانِ وَبَيْنِ الْحَقِّ وَالْعَالَمِ انْكَشَفَ لَهُ سُرُّ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ » (٤٢) ، وَبَيْنَ قَوْلِهِ « مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ » (٤٣) . وَسُرُّ قَوْلِهِ : « كُنْتَ سَمِعَهُ وَبَصَرَهُ ... » (٤٤) الْحَدِيثُ . وَلَمَّا كَانَ بَاطِنُ الْأَنْسَانِ عَلَى صُورَةِ حَقَائِقِ الْأَسْمَاءِ الْأَلِهَيَّةِ مِنَ الْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ وَالْقَدْرَةِ وَالسَّمْعِ وَالبَصَرِ وَالْكَلَامِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « كُنْتَ سَمِعَهُ وَبَصَرَهُ ... » الْحَدِيثُ . وَلَوْ كَانَ ظَاهِرُ جَسْمِ الْأَنْسَانِ عَلَى صُورَةِ الْحَقِّ لَقَالَ : كُنْتَ عَيْنَهُ وَأَذْنَهُ ، فَفَرَقَ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ ، فَصُورَتُهُ الظَّاهِرَةُ مِنْ حَقَائِقِ الْعَالَمِ وَصُورَهُ ، وَصُورَتُهُ الْبَاطِنَةُ عَلَى صُورَتِهِ تَعَالَى ، وَسِيَّاً تَفَصِّيلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَالْمَرَادُ بِهَذِهِ [الصُّورَةِ] الصُّورَةُ الْمَعْنُوَيَّةُ ، وَهِيَ إِشَارَةٌ إِلَى الْمُضَاهَاةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا . فَعَلَى مَا ذُكِرَ لَيْسَ غَيْرُكَ يَا عَيْنَ الْوِجْدَنِ فَافْهُمْ تَلْكُ مِنْ أَهْلِ الشَّهَادَةِ ، وَيُرْجِعُ الْجَمِيعَ إِلَى الْذَّاتِ وَالصَّفَاتِ

والأفعال ، إذ إليه يرجع الأمر كله كشفاً وحقيقة . فانظروا رفاقى إلى حقيقة ذات النفس الإنسانية وصفاتها وأفعالها لتسكشَّف لكم هذه المضاهاة المذكورة في الحديث النبوى (٤٥) . ولو لا أنها لم يقدر الإنسان على الترقى من معرفة نفسه إلى معرفة ربها ، ولو لا أنَّ الله تعالى جمَعَ في الإنسان ما هو مثال جملة العالم حتى كان نسخة مختصرة منه ، وكأنَّه ربُّ في عالمه متعرِّف ، لما عَرَفَ العالم ولا التصرف الآلهي ولا الربوية ، [العالم حضرة الربوبية وحضور الآلهية وأنْتَ من جملته ، وهذا يقال : الكامل من يرى الكون كله حضرة ويرى العبودية عنده وإنْ كانَ هو من جملة الكون] (٤٦) ، ولا الفعل ولا العلم ولا الإرادة ولا القدرة ولا سائر الصفات الآلهية ، فصارت النفس بمضاهاتها وموازنتها مرقة ربها ، فحقيقة ذاتها قائمة بذاتها ليست بعرض ولا جسم ولا هي متحيزَة ولا تخلُّ المكان والجهة ، ولا هي متصلة بالبدن والعالم ولا منفصلة عنه ، ولا هي داخلة في أجسام العالم والبدن ولا خارجة عنه . وهذه كلُّها صفات ذات الآلهة تعالى وتقدس ، ولا تُوجَبُ البِثيلية لأنَّ الاشتراك في السلوب لا يُوجَبُ الاشتراك في الماهية ، لأنَّ كلَّ ماهيتين مختلفتين بسيطتين فلا بدُّ وأنَّ يشتراك في سلوب كلِّ ما عداهما عنهما ، وأما الصفات فقد خلقتُ فيهم عالمة مُريدة قادرة سميحة بصيرة متكلمة ، والله تعالى كذلك .

وأما الأفعال ، فمبدأ فعل الإنسان هو إرادة يظهرُ أثرُها أولاً في القلب فيسري منه أثرٌ بواسطة الروح الروحاني الذي هو بخار لطيف في تجويف القلب إلى الدماغ ، فيسري منه أثرٌ إلى الأعصاب الخارجية من الدماغ ومن الأعصاب إلى أوقار الرباطات المتعلقة بالعصب فتجذب الأوتار ، فتحرَّك بها الصبع ، فيتحرك بالصبع القلم ، وبالقلم المداد مثلها ، فتحدثُ منه صورة ما يريد كتابته على القرطاس ، على الوجه المتصور في خزانة التخييل ، فإنه ما لم تتصور في خياله صورة المكتوب أولاً لا يمكن إحداثه على البياض ثانياً . ومن استقرى أفعال الله تعالى وكيفية إحداثه النبات والحيوان على الأرض بواسطة تحريك السموات

والكواكب ، وذلك بطاعة الملائكة في تحريك السموات ، علمنا أنَّ تصرفنا في عالمنا أعني أبداننا يُشبه تصرف الحق تعالى في العالم الأكبر وهي مثله ، وانكشف لنا أنَّ نسبة شكل القلب إلى تصرفنا يُشبه العرش ونسبة الدماغ نسبة الكرسي ، والحواس كالملائكة الذين يُطِيعون طبعاً ولا يستطيعون خلافاً ، والأعصاب كالسموات والقدرة في الأصبع كالطبيعة المسخرة المركوزة في الأجساد ، والمداد كالعناصر التي هي أمهات المركبات في قبول الجمع والتركيب والتفرقة ، ومرآة التخييل كاللوح المحفوظ ، فسبحان من أوجده بمحوده وصيَّره فردانياً في وجوده ومنحه أسمائه وصفاته فتعلق بها وتحقق ، ثم تخلق بها ثم فتَّ عنها بمشاهدة ذاته عند التجلِّي الذاتي والكشف الوجودي ، فرأى في ذلك التجلِّي نفسه بنفسه وعاد العدد إلى أنتهِ . فأول كمال الإنسان هو معرفته ربِّه بنفسه ، وأوسط كماله هو معرفته نفسه بربِّه ، وأخر كماله هو معرفته ربِّه ربِّه ، فمن عَرَفَ نفسه بهذه الأحوال والاعتبارات عَرَفَ ربِّه بجميع الأسماء والصفات ، ومن جَهَلَ هذه الامتيازات والنسب والأضافات جَهَلَ حاله ووقته ومقامه ونفسه ووجوده وموجده ومشهوده ومعبوذه . والجهل قسمان : جَهَلٌ حَقِيقِيٌّ وهو المطلوب لأنَّه جَهَل لا ضَدَّ له وهو أنْ يجهل ما سواه تعالى لاستغراقه إِيَّاه تعالى ، وذلك هو يقينٌ سرمديٌّ وهو من جملة المشهود الحق ، إذ ليس لغيره تعالى ثبوت ولا وجود ولا نور أصلًا . فالمعرفة هي وجود جهل الإنسان عند قيام علم الله ، فهو العارف وهو المعروف ، فالإنسان جاهل به من حيث عينه وعارف به من حيث هو هو ، فالمعرفة هي المعرفة بالجهل الحقيقي الذي لا ضَدَّ له وهو فقدُ ما سواه في الشهود . هذا وأمَّا العلم الذي لا ضَدَّ له فهو شهودُ الوجود ، ولا ضَدَّ للوجود عند أهل الشهود ، فإنْ قيلَ : العدمُ ضَدُّ الوجود ، قلنا : الوجود الذي العدم ضَدُّه هو الذي تقولُ الأفكار إنَّه عَرَضٌ للماهية ، وذلك عندهم عَرَضٌ فضَدَّه عدمُ عَروضيه . وأمَّا ما يفهمُه أهل الشهود والكشف من الوجود فهو الذي يشتملُ الثبوت أيضًا بكلِّ اعتبار ، فيدخل فيه العدم الاضافي لأنَّه موجودٌ في الذهن . وأمَّا العدم الصِّرِيف ، وهو ما لا كان قط ولا يكونُ أبداً ولا دخلَ في

ذهن ، فذاك لا يُقال له ذاك<sup>(٤٧)</sup> ، إذ لا حقيقة هناك تستحق أن يُشار إليها بفهم ، فكيف يستحق أن يُثبت حتى يكون صدًّا للوجود ، هذا باطل .

والقسم الثاني من الجهل ، وهو الذي ضدُّه العلم ، وهو حجج لأنَّه عدم الادراك ممَّن شأنه أن يُدرك في الوقت الذي شأنه أن يُدرك ، وهو ظلمة ، فالعلم إذن نور لأنَّه وجود الادراك . وثمَّ قسم آخر من الجهل ، وهو عدم العلم بالحق مع اعتقادِ نقشه ، وهو الجهل بالجهل ، نعوذ بالله منه وهو عدم شهود سرّ « كانَ اللَّهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ »<sup>(٤٨)</sup> ، على اعتقادِ نقشه ، لأنَّ صاحبَه يُثبت لنفسه وجودًا مع وجود الحق تعالى ، وهذا هو الجهل المركبُ والغرورُ والحمقُ ، وهو الداء العُضالُ الذي أعيَا الأطباء وعجزوا عن معالجته ، حتى قال عيسى عليه السلام : « كُلُّ دَاءٍ دَوَيْتُه إِلَّا الْحُمُّرُ فَإِنَّهُ أَعْيَانِي »<sup>(٤٩)</sup> . وهنها إشارة عرضية وهي ، لأنَّ حقيقةَ الإنسان التي هي خاصيَّته التي بها له تمتَّ الخلافةُ والامتيازُ عن سائر الموجودات هي نورٌ إلهيٌّ وجوديٌّ ذاتيٌّ وحدانيٌّ بسيط ، لا يوصف بالشهادة ، وهو المشار إليه بقوله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فيما رواه جابر بن عبد الله الأنباري رضي الله عنه أنه قال : سأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هُوَ نُورُ نَبِيِّكُ يَا جَابِرُ ، خَلَقَهُ ثُمَّ خَلَقَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَحِينَ خَلَقَهُ أَفَامَهُ قَدَّامَهُ فِي مَقَامِ الْقُرْبَى عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ ثُمَّ جَعَلَهُ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ ، فَخَلَقَ الْعَرْشَ مِنْ قَسْمٍ وَالْكَرْسِيِّ مِنْ قَسْمٍ وَحَمْلَةَ الْعَرْشِ مِنْ قَسْمٍ ، وَأَقَامَ الْقَسْمَ الرَّابِعَ فِي مَقَامِ الْحَبَّ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ ، ثُمَّ جَعَلَهُ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ ، فَخَلَقَ الْقَلْمَنْ منْ قَسْمِ الْلَّوْحِ مِنْ قَسْمِ الْجَنَّةِ مِنْ قَسْمٍ ، وَأَقَامَ الْقَسْمَ الرَّابِعَ فِي مَقَامِ الْخُوفِ إِثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ . ثُمَّ جَعَلَهُ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ ، فَخَلَقَ الْمَلَائِكَةَ مِنْ جَزْءٍ وَخَلَقَ الشَّمْسَ مِنْ جَزْءٍ وَخَلَقَ الْقَمَرَ وَالْكَوَاكِبَ مِنْ جَزْءٍ ، وَأَقَامَ الْجَزَءَ الرَّابِعَ فِي مَقَامِ الرَّجَاءِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ ، ثُمَّ جَعَلَهُ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءَ فَخَلَقَ الْعُقْلَ مِنْ جَزْءٍ وَالْعِلْمَ وَالْحَلْمَ مِنْ جَزْءٍ وَالْعُصْمَةَ وَالتَّوْفِيقَ مِنْ جَزْءٍ ، وَأَقَامَ الْجَزَءَ الرَّابِعَ فِي مَقَامِ

الحياة إثنى عشر ألف سنة ، ثم نظر إليه فترشح النور عرقاً فقطرت منه مائة ألف وعشرون ألفاً وأربعة آلاف قطرة من النور ، فخلق الله من كل قطرة روح نبي أو رسول ، ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم نور الأولياء والسعداء والشهداء والمطهرين من المؤمنين إلى يوم القيمة . فالعرش والكرسي من نوري ، والكروبيون والروحانيون من الملائكة من نوري ، والجنة وما فيها من النعيم من نوري ، وملائكة السموات السبع من نتائج نوري . ثم خلق الله إثنى عشر حجاباً فأقام نوري وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنة ، وهي مقامات العبودية ، وهي حجاب الكرامة وحجاب السعادة وحجاب المحبة وحجاب الرحمة وحجاب السكينة وحجاب الصبر وحجاب الصدق وحجاب اليقين ، فبعد الله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة . فلما خرج النور من الحجب ركب الله في الأرض فكان يُضيء منها ما بين المشرق والمغرب كالسراج في البيت المظلم . ثم خلق الله آدم من الأرض وركب فيه النور «<sup>٥٠</sup>» وقد رُوي أيضاً عنه صل الله عليه وسلم قال : «أول ما خلق الله القلم وأول ما خلق الله اللوح «<sup>٥١</sup>» الحديث . معناه أنَّ الله تعالى اقطع قطعة من نوره بسيطة لا صورة فيها أي أوجذ العالم وجود شبيح مُسْوَى لا روح فيه ، فكان كمراة غير مجلوة . ومن هذا كلامُ الشيخ الأكبر : « ومن شأن الحكم الالهي أنه ما سُوَى محلاً إلا ولا بدَّ أن يقبل روحًا إلهيًّا . غير منه بالتفخ فيه ، فكان القلم الأعلى كالشبيح المسوَى أي المستعد لأن يظهر فيه روح يخصه ، وتلك الروح هو اللوح الحفظ ، والحكم الذي يتعينُ في القابل نفسُ حصوله في تلك الحالة هو تقدُّر إلهي هو المسماَى بالتفخ ، وليس إلا حصول الاستعداد لقبول التجلي المسمى تفخاً ، وذلك هو تحمل دائم لم يزل وما بقي إلا قابل ، والقابل لا يكون إلا من فيض الله رحمة إيجاديه فالامر كله منه ابتداؤه وإليه انتهاءه ، فإليه يرجع الأمر كله » «<sup>٥٢</sup>» .

## النحو الثاني

### في بيان ظهور نور الحق بالعالم الأكبر والأصغر وترتيبهما ومراتبها

إعلموا رفاق أطلعكم الله على أنوار وجوده وأوقفكم على أسرار جوده ، أنَّ الحق تعالى لما قالَ من الحضرة الذاتية بـلسان حايل ذاتي لنور من أنوار قدسيه ، نور واحد بسيط لا يُوصَفُ بالنهاية : ( كن ) أولاً لآخر ، حصل له من قوله ( كن ) تعينَ فقط لا أكثر من ذلك لتحقّقَ فيه الأولية ، ولو كان فيه أكثر من حقيقة ذلك التعين لكانَت الأولية لأحدِها دون الآخر . أو يكون كُلُّ واحدٍ منها أولاً ، فيكون القولُ منه تعالى لاثنين لا لواحد ، فإذاً ما حصل لذلك النور إلَّا تعينَه فقط ، لكن حقيقته الأولية تستدعي آخر وإلَّا لم تتحقق الأولية ولا بدَّ منها ليظهر حكم ( كن ) ، فحصل لذلك النور بالتعين المذكور أن يتميّز عن بقية الأنوار وأنَّ فيه قابلية للظهور بصورة ثانٍ يكونُ للأولية ذلك آخرًا كما قلنا ، فتعينَ ذلك النور تعيناً آخر ، فكانَ كونُ آخر غيره فسُمِّيَ النور في مرتبة التعين الأول قلَّماً أعلى ، وسمّيَ هو بعينه في مرتبة التعين الثاني لوحًا محفوظًا ، لكنَّ التعين الأول الذي هو القلم الأعلى شهَدَ في قول الحق تعالى له ( كن ) أولاً آخر ، بمعنى تهيءَ لظهور اللوح منك . فقالت ذاته بـلسان الحال : سمعاً وطاعة . فإنَّ القولَ في تلك المراتب ليس إلَّا بـلسان الأحوال ، فقول الحق له تهيءَ ، هو المعنى الذي عبرَ عنه بأنه قال له اكتب فكتب ، أو قال أقبل فأقبل وأدبر فأدبر ، فقال تعالى : وعزَّتي وجلاي ما خلقتُ خلقًا هو أكرم علىي منك فبكَ آخذ وبك أعطي » (٥٣) . فذلك التعبير منه هو قبول صورَ العالم ، ويرى معنى ذلك التهيو المذكور في اللوح المحفوظ ، فكانت تهيئه تسوية أخرى ، فقبل اللوح بهذه التسوية المختصة به روحًا هي مادة الجسم قبل صوريه ، فسميت كتابة معنوية من ذلك القلم الأعلى في اللوح المحفوظ . ثم ظهرت حروف تلك الكتابة جسماً فكانت هذه الكرات ، وهي أكوان ، حصلت كلُّها من معنوية قوله تعالى « كن » ، ويعنيه « كن » حصلَ المددُ من القلم الأعلى فيضاً

مستمراً كان اللوح المحفوظ يقبله في ذاته ثم يسترسل من ذاته في ذات المادة المذكورة ، فلما حصل لتلك المادة الجمود الذي به صارت أجراماً جسمية اقضىليسُ الحالُ لها من جهة الحقيقة الجسمية أن لا تقبل ذلك المدّ في ذاتها كله بل مقدار ما يدوم لها وجودها به فقط ، فبقي باقي المدد يطلب التفود في حقيقة الجسم ، فمنعه الجسم ذلك جموده فقهـر المـدد بـقوـته ، فأـدار الأـفـلاـك وـمـخـضـها مـخـضـاً فـانـدـفـعـ مـنـهـ كـلـ جـزـءـ إـلـىـ مـشـابـهـهـ فـأـخـذـتـ كـلـ كـرـةـ ماـ نـاسـبـهـهـ وـبـقـيـ الـثـلـثـلـ السـخـيفـ فـانـدـفـعـ إـلـىـ الـوـسـطـ لـمـاـ اـسـتـدـارـتـ عـلـيـهـ الأـفـلاـكـ ، فـكـانـتـ مـنـهـ الـأـرـضـ ، لكنَّ الـأـرـضـ لـمـاـ اـنـدـفـعـتـ إـلـىـ حـقـيقـةـ الـوـسـطـ اـسـتـصـبـحـتـ بـعـضـ الـلـطـائـفـ وـهـيـ كـثـيـرـةـ فـاقـتـضـيـ الـحـالـ أـنـ يـنـفـصـلـ مـنـهـ مـاـ يـلـائـمـهـ ، فـأـوـلـ مـاـ يـنـفـصـلـ مـنـهـ مـاـ يـلـائـمـهـ مـاـ هـوـ أـقـرـبـ إـلـىـ شـبـهـهـاـ فـكـانـتـ الـبـحـارـ فـتـمـيـزـتـ الـبـحـارـ عـنـهـ ، إـلـىـ أـنـ الـمـاءـ وـجـدـ فـيـ ذـاـتـهـ مـاـ هـوـ أـلـطـفـ مـنـهـ ، فـلـمـ يـكـنـ أـنـ يـقـيـ مـعـهـ فـتـصـعـدـ بـخـارـاـ وـهـوـ الـهـوـاءـ ، إـلـىـ أـنـ فـيـ بـعـدـ بـعـضـ كـثـافـةـ الـمـاءـ ، فـتـمـيـزـ مـنـ ذـلـكـ الـبـخـارـ مـاـ كـانـ كـثـيـرـاـ يـشـبـهـ الـمـاءـ ، فـدـفـعـتـهـ الـرـياـحـ الـتـيـ هـيـ فـيـ الـحـقـيقـةـ هـوـاءـ ، إـلـىـ أـنـهـ مـنـدـفـعـةـ فـجـمـعـتـ ذـلـكـ ، [ وـ ] اـنـكـشـفـ الـذـيـ يـشـبـهـ الـمـاءـ فـانـضـمـ بـعـضـهـ إـلـىـ بـعـضـ ، فـازـدـأـ كـثـافـةـ الـحـقـيـقـةـ بـالـمـاءـ فـنـزـلـ أـمـطـارـاـ ، فـالـتـحـقـقـ بـكـرـةـ الـمـاءـ ، وـكـانـ قـدـ اـنـكـشـفـ مـنـ الـأـرـضـ بـعـضـهـ فـأـصـابـ ذـلـكـ بـعـضـ مـنـ الـأـمـطـارـ مـاـ رـأـيـتـ . وـاستـمـرـ الـحـالـ ، فـكـلـمـاـ كـشـفـ مـنـ الـهـوـاءـ بـوـاسـطـةـ مـاـ يـصـعـدـ إـلـيـهـ انـعـكـسـ أـمـطـارـاـ ، ثـمـ إـنـ ذـلـكـ الـهـوـاءـ رـقـيـ مـنـهـ لـطـيفـ إـلـىـ سـطـحـ الـمـقـرـرـ مـنـ باـطـنـ السـمـاءـ الدـنـيـاـ ، وـامـتـدـ لـسـخـافـيـهـ وـرـقـيـهـ وـقـرـبـ فـلـكـ الـقـمـرـ مـنـهـ ، فـسـمـيـ نـارـاـ لـذـلـكـ الـامـتدـادـ الـذـيـ حـصـلـ لـهـ ، فـحـصـلـ فـيـ باـطـنـ سـمـاءـ الدـنـيـاـ أـربـعـةـ أـفـلاـكـ سـيـاهـاـ الـحـكـماءـ : نـارـاـ وـهـوـاءـ وـمـاءـ وـتـرـابـاـ . هـذـاـ وـمـدـدـ الـقـلـمـ الـأـعـلـىـ مـتـصـلـ ، وـكـلـمـاـ اـتـصـلـ دـوـرـانـ الـأـفـلاـكـ وـكـانـ فـيـ الـأـفـلاـكـ أـجـزـاءـ هـيـ أـصـفـيـ جـوـهـراـ فـيـ الـجـسـمـيـةـ مـنـ بـقـيـةـ الـأـجـسـمـ الـفـلـكـيـةـ ، فـكـانـتـ هـيـ الـكـواـكـبـ ، وـبـصـفـاتـ جـوـهـرـهـاـ صـارـتـ هـاـ أـشـعـةـ ، فـوـقـعـتـ الـأـشـعـةـ عـلـىـ سـطـحـ الـأـرـضـ وـسـطـحـ الـمـاءـ ، فـأـثـرـتـ فـيـ الـمـاءـ فـصـعـدـ الـبـخـارـ مـنـ الـبـحـارـ ، وـأـثـرـ فـيـ التـرـابـ تـسـخـينـهـ فـقـطـ ، فـسـرـتـ حـرـارـةـ ذـلـكـ التـسـخـينـ فـيـ باـطـنـ الـأـرـضـ ، فـوـجـدـتـ باـطـنـهـ

قابلًا للتكونين المذوع في ذلك المذد مما أودعه الله في القلم الأعلى ، ف تكونَ في باطن الأرض أكونان أربعة أكثُرها الجماد المعدني ، فتحرّك المعدن بالحركة الإيجادية في بطن الأرض ومنعها الكثافة أن تشقّ الأرض وتخرج منها إلا النار . والكون الثاني النبات فإنه تكونَ تحت الأرض ولم تكنْ فيه كثافة المعدن ولا بلغ من اللطافة ما يفصله عن الأرض ، فشقّ الأرض وخرج إلى الهواء ، لكن بقى رأسه في الأرض فاغتنى برأسه منها وجسمه كله في الهواء . والكون الثالث وهو الحيوان ، فإنه تكونَ في بطن الأرض وتحرك فيه كما تحرّك المعدن والنبات بالحركة الإيجادية ، وزاد على النبات بأنه شقّ الأرض كما شقّها النبات وخرج منها كما خرج النبات ، وحصلت له زيادة وهي الانتقال من مكان إلى مكان فوق سطح الأرض ، وتخلصَ رأسه من الأرض لكن ما بعد رأسه عنها ، بل بقى مكبوباً منحنياً فاغتنى من وجه الأرض وشرب الماء كما شرب النبات . والكون الرابع هو آدم عليه الصلاة والسلام ، فإنه تكونَ أيضاً تحت الأرض وتحرك كما تحرك كل الأكونان الثلاثة ، وزاد عليها أنه تخلصَ رأسه تخلصاً كاملاً فانتصب وانتهى إليه الإيجاد ، فأعطاه القلم معناه وهو لطيفته الدراكَةُ المعتبرَ عنها بعبارات مختلفة باعتبارات متباعدة ، فتارة يعبر عنها بالعقل وتارة بالروح وهو الذي به يتفسّر كل شيء ، وهو بدء الأسماء الكونية وأول الخلائق وأول الأحياء ، وكل من تنفس إنما يتنفس بهذه الروح فإنه أصل الخلقة . وتارة النفس الناطقة لأنها القلم بالفعل ، ولما كان القلم الأعلى إنما هو قلم لأنّه كاتب ، والكتابة نطق ، كان الإنسان هو القلم الأسفل ، فكان ناطقاً كنطق القلم الأعلى ، إلا أنّ القلم الأعلى نطقه معنويٌّ باطنيٌّ ، وكان الإنسان في آخر السلسلة التي بين جسمه وبين القلم الأعلى فكان مقابلاً للقلم الأعلى ، فكان ناطقاً مقابلاً لنطق المقابل له ، فكان نطق المقابل معنويًّا ، فوجب أن يكون نطق الإنسان لفظياً ، فنطق بالحرف والصوت .

## إشارة عرضية

وهي أنَّ القلم الأعلى أشرف من الإنسان إلا أنَّ الإنسان أكمل منه ، وذلك أنَّ القلم الأعلى فصلَ ما ضمَّنه فكان ذلك التفصيلُ هو الإنسان ، فالإنسان هو القلم بوجه أجمل والقلم هو الإنسان بوجه أكمل ، والقلم هو حقيقةُ الأشياء كلُّها لكن بالقوة ، والإنسان هو حقيقةُ ما بالقلم لكن بالفعل ، فالإنسان هو القلم بالفعل كما كان القلم إنساناً بالقوة . ولستنا نعني بالإنسان هنا صورة معينة ، ثم أعطاه اللوح المحفوظ حقيقته وهي نفسه العاقلة لأنَّها هي التي تقبلُ الكتابة وهي العلوم ، وأعطيتُ حقيقةَ المادة وصوريَّةَ الجسميةَ وحقيقةَ الأركان الأربعية ، وهي النار والماء والتربَّة والماء . ذلك هي الصفراء التي في جسمه المشابهة للنار في الحرارة والبيوسنة ، والدم الذي هو مشابه للهواء في حرارته ورطوبته ، والبلغم الذي هو مشابه للماء في برودته ورطوبته ، والسوداء التي هي مشابهة للشراب في برودته وبيوسته . وفيه ما يُشابه المولدات منها وهي الثلاثة ، ففيه العظم كالمعادن والنبات كالشعر والحيوان كجسمه المحسَّن ، ففيه صورُ العالم الكبير مجملة . وأما ما مَنَحَهُ الله تعالى من المعاني والصفات فلا نهاية لها ، وباجملة فلو تقصيَّنا آثار هذه الحقيقة المسماة بالأنسانية وتبيَّنا خصائصها وصفاتها وشُوؤنها وأطلقتنا عليها من ذلك ألقاباً وأسماءً لما وسِعَها مجلدات ، وهي كلمةٌ من كلمات الله تعالى التي تنفذُ البحار ولا تنفد ، وهي [ كَا ] قال الله تعالى : « ولو أَنَّ مَا في الأرضِ منْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٍ وَالبَحْرُ يَمْدُدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلْمَاتُ اللهِ »<sup>(٤)</sup> . وذلك لأنَّ كُلَّ قطرةٍ من البحر لا تتجاوزُ أنَّ تكتبَ معنى نفسها من جهة أنها كلامُ الله ، فإذاً لو تضاعفتَ البحور إلى غير نهاية لَمَّا تجاوزَ قطْرُها حدَّ أنفسِها من جهة أنها كلامُ الله ، والوجودُ نفسه رَّقٌ منشور ، والموجودات به كلماتٌ مكتوبةُ والإنسان منها كاتبٌ مكتوبٌ . وقد عَبَرَ أيضاً عن حقيقةِ الإنسان الذي هو الإنسان الكامل بالمعنى

الأول والمدّ الأول والعلم الأول والعبد الأول وال الخليفة الأول والروح الكلى والاسان المعنى والامام المبين والكتاب المُمحض في كل شيء واللوج المكتوب فيه من كل شيء «موعظة وتفصيلاً لكل شيء»<sup>(٥٥)</sup> ، ومراة الحق ومركز دائرة الكون والكلمة الكبرى الجامحة الفاصلة . وبالجملة هو مجتمع الحضارات الأسمائية وحقيقة الحقائق والمرتبة الجامحة بعد ترقى إلى الحضرة التي هي حضرة الحضرات ، وهو المستحق أن يكون موصوفاً بصفاته تعالى ، فهو حي عالمٌ مريد قدير سميع بصير متكلم ، إذ قد ظهر الحق تعالى من ظهوره بهذه الأسماء ظهوراً بالفعل ، فإن شئت أن تجعل الحقيقة هي حيائه وعلمه وإرادته وقدرته وظهوره وسمعه وبصره يمتنع قوله تعالى : «كنت سمعه وبصره ...»<sup>(٥٦)</sup> الحديث . وإن شئت فاعكس فيه (رأى وسمع) الجزئيات ، و (كان ولا شيء معه)<sup>(٥٧)</sup> حين فني في الذات يمتنع قوله تعالى : «وما رأيت إذ رأيته ولكن الله رمى»<sup>(٥٨)</sup> ، ومن باب «جُعْتُ فلم تطعني»<sup>(٥٩)</sup> ونحو ذلك . وتلخيص هذا كله أنَّ الحق تعالى توجه إلى الإيجاد توجهاً واحداً ، فأخذت المكنات أعني المقدورات قبل تصرف القدرة فيها تعين في وجوده تعالى من حين ذلك التوجه مبدأً أولًا ، ويعلم وإلى أن يشاء الله في المستقبل ، وذلك التعين يتفصل في وجوده أبداً ، تعطف فيه أسبابه على مسبباته ومسبباته على أسبابه ومعولااته على عمله وعلمه على معولااته ، ويساوي في الأنساد إليه تعالى السابق والمسوق واللاحق والملحق ، وهو واحد للجميع تلقاه كل ممکن باستعداد فقبل منه ما يليق بإمداده . فإن قيل : فالممكن القابل قبل الوجود كيف يتحقق في الشهود ؟ قلنا : هي قوى في الجود الالهي لا هو [غيرها] بعد كونها ولا هي غيره قبل كونها ، مثله المعلوم في العلم ، وقولنا آنفًا إنَّ المكنات تتلقى الوجود باستعدادات متفاوتة ، وغير ذلك مجاز للتقرُّب من الأفهام ، وإنَّ القابل قوَّة في المقبول ، والتوجه الوحداني الأول الذاتي والإرادة مع وحدانية «أعطي كل شيء خلقه ثم هدى»<sup>(٦٠)</sup> حتى استوف حقه . ومن جملة هذا الاعطاء تفاعل الجزئيات بعضها في بعض فيعتقد المحجوب أنَّ الجزئيات هي التي فعلت . وانفعلت ، ولا والله ، بل بالنور الأول الواحد هو ذا يتفصل .

## تلویح لوحی

وهو أنَّ الغلط الواقع على المحبوبين هو من اعتقادهم خلاف الواقع ، فإنَّ الفعل الحقيقى وهو المصدر يُسمى مفعولاً مطلقاً عند النهاة ، فالعالم هو كذلك مفعول مطلق لله تعالى . فمن جعله مفعولاً به حقيقة وقع في الشرك الخفي بل والجلبي ، فإذاً العالم يامره علوه وسفليه ، روحانيه وجسمانيه ، طبيعية ومعنىه ، بسيطه ومتخططيه ، مفعول مطلق بالنسبة إلى الله تعالى . وأما باعتبار نسبة بعض ففيه المفعول به والمفعول فيه وأجله والمفعول معه وغير ذلك من الاعتبارات ، وفعل الله وحدائي للجميع ، فهي كلها ليست غير حركة إيجاده ، فهي كلها حركة لا غير بالنسبة إليه تعالى ، وأما باعتبار تفاصيلها بالنسبة إليها وبالنظر إلى بعضها عند بعض ففيها الحركة والتحرر والحرث وأنواع كثيرة . والممكن في ذاته هو فعل من أفعال صفتة للمخلوق ، وهذا هو الحق الواضح في مقام شهود الأنساء ، وأما في الحضرة الذاتية فهو صفة الأعيان الذاتية من جهة أنها صور العلم الأزلي الألهي من حيث لا ثغيرة الصفة الموصوف لأنَّه ليس شيء خارجاً عن الذات . فاما كونه صفة للحق تعالى فإنَّ الامكان منه يشتبه له الفعل الذي هو أمكنه يمكنه إمكاناً ، كما نقول : يمكنك أن تفعل كذا ، أي إنك [ تقدر ] عليه ، أو لا يمكنك أن تفعل كذا ، أي لا تقدر عليه . وأما كونه صفة للأعيان الثابتة فمعناه أنَّ حال المقدور مثلاً هو الذي أمكنك من نفسه حتى فعلت إيجاده وإيجاد صفاتيه ، إلا أنَّ هذا المعنى يرجع إلى الأول ، فإنَّ القابل في التحقيق هو الفاعل لفاعلية الفاعل ولجميع ما يصدر من الفاعل من الأفعال ، فإذاً حصول التسوية هو من الله تعالى لكنْ بالعين الثابتة ، والتسوية الحاصلة هي الفاعلة في الفاعل للنفع الملزم له أن ينفع النفع الذي به يحصل المقبول للقابل ، وإنما ظهر الممكن من جهة سلب العدمية عن الوجود الألهي فهو واجب بالغير ، أعني أنَّ كلَّ ما في الامكان لا بد أن يُظهره الحق تعالى في الوجود ، فهو في نفس الأمر واجب إلا إنه بغيره لا

بنفسيه ، بل هو واجب بنفسه باعتبار أحديه الجمع ، إذ الأعيان الثابتة هي معلومات الذات ، والمعلوم مع العلم في الذات ، وعلمه تعالى ليس مغافراً لذاته فليس إلا هو ، فإذاً لا واجب غيره ولا يمكن سواه . فإن الوجود الراجحي الآلهي قادر شامل لجميع أشتات الموجودات والأعيان كلها ، باعتبار أن لها نوعاً من التبؤ ، والثبوت لا يكون منسوباً لغيره الوجود ، فالذى يقع في الاشتراك في نظر الحق ليس إلا الوجود ، وهو واحد وليس معه غيره . فمن عرف وحدانية الوجود عرف أن نفس رؤيته نفسه هو عين رؤيته ربّه تعالى . وقد قال صل الله عليه وسلم : « المؤمن مرأة المؤمن » (٦١) ، معناه أن وجود الحق تعالى كالمرأة يظهر فيه نفس المشاهد ذات المشاهد ، كالمرأة تظاهر فيها أحماقه تعالى . فإذاً المشهود لا يكون إلا للوجود أو لمعانيه وهي الأعيان الثابتة المذكورة التي هي صور علميه تعالى . وأما العدم الخضر ، وهو لا شيء من كل وجه ، فلا يُنكر ولا عنه عبارة إلا مجازاً للضرورة . وهبنا : تلويع لوحى .

## تلويخ لوحٌ

وهو أنَّ المعرف ظلَّل صُورِ الموجَدات ، تثبُّت في صيقَالِ مراتيَّةِ النَّفْسِ عندِ المقابلةِ الصَّحِيحةِ ، وتحقَّق بقوَّةِ الاشتراكِ وعندَه تكونُ صحةُ الادراكِ ، وليس في الخارجِ عنِ الذهنِ ، وإنما هي أمثلةُ الوجودِ الخارجيِّ ، وتفهمُ من الألفاظِ بحسبِ الاصطلاحِ ، فحقيقةُ المعانِي وجودٌ ظلَّلٌ لطيفٌ ، وهو في الحقيقةِ يَتَبعُ الذي الصورةِ ، فلا صورةٌ إلَّا معنَى ولا معنَى إلَّا يَتَبعُ لصورةِ ، وكلُّ معنَى لا يتَبعُ صورةً حقيقةً فليسَ معنَى ، ولا يجوزُ إطلاقُ المعنى إلَّا مجازاً وتوهّماً . إذا فهمَ هذا فنقولُ :

حقيقةُ الوجودِ البسيطِ تطَوَّرُ إلَى الجسمِ وكمُلَّ بعدَ الجسمِيةِ كحالاتٍ كثيرةٍ حتى يَتَلَعَّ إلى هذِه الطَّورِ الأكْمَلِ المسمَى بالانسانيةِ ، وليس هو الجسمُ بلِ الجسمِ صورةٌ من صوره مُعيَّنٌ على بلوغِه كحالاته بقوَّاه الظاهرَةِ والباطنةِ ، فإذا انفصلَ عنِ الجسمِ انفصلَ عالماً يمرُّ به على الأطوارِ المركبةِ التي ترَكَبُ فيها ، وإنما يعلمُ ذاته ولم يَخْتَجِ في قِوامِه لذاتهِ إلى الجسمِ لمَحْصُولِ العلمِ له من ذاته . وبعبارةٍ أخرى ، هو جوهرُ أبسطِ البساطِ في تركيبِه ، قد ترَكَبُ أقصى التركيبِ في بساطِه لا يزيدُ وجوده على ذاتِه . وبعبارةٍ أخرى ، هو ذاتُ وجودِ جزئٍ باختصاصِه بالجسمِ ، فإذا فارقَ الجسمَ عالماً ، فربَّ من أن يكونَ عبيطاً بكثيرٍ ، لا يختصُ بشيءٍ ولا يقفُ عندِ جزءٍ . وبعبارةٍ أخرى ، هو وجودٌ نشاً معِ الجسمِ قليلاً قليلاً وكمُلَّ به وفيه ومنه ، وليس بجسمٍ كثيفٍ ، ولا تظنَّ أنه قوَّةٌ في جسمٍ فيصعبُ عليكِ بقاءُ القوَّةِ بعدَ فناءِ القُوىِ بها ، وإنما هو وجودٌ علميٌّ روحانيٌّ بالذاتِ ، من طبيعةِ أنْ يُحرِّكَ ما سواه بحركتهِ ، وليس حرَكَتُه كحركةِ الأجسامِ من كُلِّ وجهٍ . وبعبارةٍ أخرى ، هو جوهرُ بسيطٍ كمُلَّ بتردُّدهِ في الأطوارِ فعِيلَمُ ذاته بكمالِه وأدركَ تنوَّعَ المعلومَاتِ باختلافِ تطورَاتهِ وأحوالِه . وبعبارةٍ أخرى ، هو جوهرُ الوجودِ البسيطِ اتصَلَ بصورةِ الجسمِ معناه ، كان جسمًا طبيعياً على غيرِ كُلِّ فيهِ بالقوَّةِ ، بل كان فيهِ أولَ كُلِّ حيوانيٍّ وهو الحسُّ والحركةُ ، وقبلَ

ذلك هو للنمو وجميع القوى الطبيعية ، حتى كمال هذا الكمال بالعلم الباقي الذي لا يختص بشيء بيسد ويزول ، ففارق هذه الصورة العنصرية وترقى عنها مكتفياً بذاته ، فتحقق جوهره بقوّة روحانية . وبعبارة أخرى هو الوجود البسيط كمل بالعلم في الجسم ، هو لا يدرك بالحواسُ الجسمانية للطافته وبساطته ، وكلما قرب الشيء من الكثافة ناسب أن يعلم ومحاط به ، ويجهل ويقرب من الموات والسلف والخسنة والانفعال . وبعبارة أخرى ، هو وجود عقليٌ علميٌ روحانيٌ أصل القوى الروحانية ، بل هو التكيف بجميعها ، أدرك ذاته بواسطة الجسم الذي هو الله وانفصل عالماً تماماً ، [ قوله تعالى : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً » (٦٢) الآية ، فالعقل الفعال أفضى الحياة مع القوة التي أفضتها على جسم الإنسان في أول نشأته ، لكنها إفاضة ساذجة لا علم ، أي لا إدراك إلى إثبات ، ولا يلزم من كون العقل دراكاً أن يكون ما أفضاه مدركاً في أول النشأة حكمة من الله تعالى فافهم . فالمفاض من أول النشأة دراك بالقوّة إلى أن يصير دراكاً بالفعل ] (٦٣) . وهذه نفوسُ الكمال بتوسطه تلحق براكيها وتتحسن إلى حيزها وتشغل بالابتهاج بذاتها ملئنةً به عند إدراك شرفها بعلمهها . هكذا أبدأ لاستحالة العدم ولأنه بسيط ، فلا ينفك إتاماً تنفك المركبات ، وقد انفكَ مركبُ وهو الجسم ، فبقي الفرد حماه الله من كدر الأغبار وأعاده إلى حضرة نور الأنوار . ولِي في هذا المعنى نظم ، وهو هذا :

تذكرت العهد القديم يطلع فهفت لمعني لا يتم للدعى  
 وإن لها بآن الجمي وأراكه ولاحت لها الأقمار من كل مطلع  
 فلا تعذلاها ، قد تبين عذرها أشار لها الاطلاق من حيث ذاته  
 في انسمات الدوح عن أين الحمى فربما ينفك قيد علاقتي  
 ولو زالت الأغيار لاستعلن المدى وه هنا وارد رئاني .

## واردٌ رئافي

اعلموا رفاقِ أخفكم الله بمواردِ الغيوب وأخفكم بربادِ شواهدِ القلوب ، آتى  
لما قدمَ من أرضِ الحجاز سنة ثلثة وثمانين وستمائة ، وكانت الوقفة يوم  
الجمعة ، وكان أميرُ ركبِ الديار المصرية الباشيري وأميرُ ركبِ الشام عز الدين  
بن عز الدين الكردي ، إلى مدينة دمشق حرسها الله تعالى ، سكنت جبل  
قاسيون واخترت مغارةً تعرف بابن الشلام<sup>(٤)</sup> وجلسَت فيها على نية الخلوة فارغاً  
من الطعام والمشرب بمجموعِ الهم متوجهاً إلى الحق تعالى ذاكراً له باسمه الأعظم  
وهو الله ، لأنَّه دليلُ الذات الجامع للصفات الآلهية كلَّها ، حتى لا يشُدُّ منها  
شيء ، وسائلُ الأسماء لا تدلُّ أحاديثها إلَّا على آحادِ المعاني ، وهو أخصُّ أسمائه  
تعالى ، إذ لا يُطْلِقُه أحدٌ على غيره تعالى لا حقيقة ولا مجازاً . ولهذا توصف سائر  
الأسماء بأنَّها اسمُ الله وتعرف بالإضافة إليه ، لكونه أدلُّ على كنه المعاني الآلهية  
وأخصَّ بها ، وهو أشهرُ وأظاهرُ فاستغنَى عن التعريف بغيره ، وعُرِفَ غيره  
بالإضافة إليه . مستغرقَ القلبِ والهمَّة به لا أرى غيره ولا ألتَّفتُ إلى سواه ولا  
أرجو ولا أخافُ إلَّا إيه ، إذ هو الموجودُ الحقيقُ الحقُ وكلُّ ما سواه فان وهالك  
ويباطل إلَّا به تعالى ، وكانت أرى نفسي أولَ هالك باطل ، كما شهدَه رسولُ الله  
صلَّى اللهُ عليه وسلم وصدقَ من شهدَ ذلك ، فقال : أصدقُ بيتَ قاله  
العرب : « ألا كُلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل »<sup>(٥)</sup> . فيينا أنا ذاكَر مثالَه<sup>(٦)</sup> في  
الذكر متَّظرٌ ما يرُدُّ علىِ من خزانَتِي جودِه وأنوارِ وجودِه وأسرارِ شهودِه ، إذ  
هتفَ بي هاتفٌ وهو يقول : يا مسكيٰن هو القريبُ منك وأنتَ البعيدُ عنك ، هو  
القريبُ منك بالعينة وأنتَ بعيدُ عنَّه بوهيمَةِ الغريرة ، إنما تطورَ فيك لتكمَّلَ به  
ويكملَ فيك لا لتحتاجَ بوهيمَةِ التعدِّي لدِيك من إدراكِ حقيقة التوحيد فيك .  
هو عندَ كلِّ شيءٍ بجواهِرِ ذاتِه لا بكتَّبه ، إذا الكلَّية لا تستولي عليه لرجوعِها  
للحصْرِ وافتقارِ الحصرِ إليه ، لا يحملُ أنْقالَ التكليف إلَّا أساسُ الأنانية . لا  
يمحبُك عن إدراكِ كمالِ الوجودِ فيك إلَّا استيلاءُ سلطانِ الغريرة عليك . لولا

ظهورك في الحجاب لما ظهر الحجاب ، فحجابه عند العارف به كثُر يُطلب  
 عنده . فسبحان من ظهر بذاته فأدرك على تنوع صفاته ، إذا ظهر نور الذات  
 وَجِدَتْ الأسماء والصفات .. ليس شيء يُدْمِنُ بالذات ، بل بحاجة التوحيد في  
 التحقيق نظر إلى النسب والإضافات . التوحيد الوقوف مع الذات بجوهرها  
 والتحقيق المتهي في وحدانية الذات في أطوارها . لو تحقق ذائقك لما عدلتك عنها  
 طلباً للخارج . كُنْ معه كالمعبد يتحقق به . من تمسك بعروة التوحيد ماشياً  
 على قانون التحقيق أتسع عليه المجال ولم يعره المقال . ما دمت تطلب الوصول  
 إليه فأنت محجوب عنه بتوهّم الانفصال منه . بقاوتك بك عن فناءك ، وفناوتك به  
 عين بقاءك . حُجِبْتَ بصورته عن إدراكه حقيقته . لولا وقوفك عند حدودك لما  
 تختلفت عن شهودك . تحقق جوهرك وأتيعم فيه نظرك ، ودع أولئك وأخرئك ،  
 فإذاً الوهمي تقصير عن شهودك ويوقرك مع آخرك تقع في حضري وجودك .  
 إن اعترضك عارض الشك فاطلب فيه ، فكُلُّ ما يقطعك عنه فهو منه . لا يغُرُك  
 تعرفه فهو الباطن ولا يوئسك تذكره فهو الظاهر ، والحق ورائهم وما له مظاهر .  
 فسبحان من ظهر في ذات الحجاب عند العارف به واحتجب فيما به ظهر عن  
 المحجوب عنه . تم الوارد الرباني ، وتتلوه نصيحة وهي هذه :

### نصيحة

عليك بالصدق في التوجّه إلى الله تعالى من حيث ما يعلم هو نفسه ، لا من  
 حيثية خاصة ولا على نحو مخصوص ، فإن العبد إذا توجّه إلى سيده بصدق أقبل  
 عليه وتولاه بحفظه ، وإنما طول المدة للتاريخ والمربي ليقف على كل موطن قد  
 شاهد حقيقة كل مشهد ، كي لا تردد الجملة الكلية على الجزء الصغير ، فلا  
 وجود حينئذ للمحدث في تجلّي القديم ، فهو في كل نفس وحال سار به له ،  
 [ و ] فيه ذاهب منه إليه ، لا يشاهد سواه ولا يتجلّى بغير إيمانه ، أسرّه باطنه  
 وأراخ ظاهره ، فلا نوم ولا إفادة ، وجود في عدم [ و ] عدم في وجود :

فهناك ثبت له أول الشهادة بنفي كل شيء حين ( لا إله .. ) ، فإن اعتبرني به الجنابُ الأسى المحمدي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجع إلى حقيقة المشهود ، فثمت الشهادة ولم ير إلَّا الله ، فسبحان المنطَوِّلُ المثان ! .

اقطع قومٌ إليه ، فهم بنوره سائرون في العالم الكلّي العلوى والجزئي والسفلي ، غائبون عن أعين المتشبهين بهم ، فلا سبيل إلى روئتهم بغير الفناء ولا إلى معرفتهم بسوى أمثالهم ، وهذه أوائل أحوالهم ، آوانا الله إليه أجمعين بمنه وكرامه . ولا بدّ لكل من أراد الخلاصَ من شرٍّ نفسيه والفوزَ بأنوارِ قدسيه من أستاذٍ عارفٍ بوجوده ليوصله إلى مقصوده ، أو جذبة إلهية من عين جوده تأخذُه من وجوده ، وتفنيه في مشهوده عن شهوده . ولِي في هذا المعنى نظمٌ وهو هذا :

إذا المرء لم [ يلبس ] رداءَ من التقى  
يريه رعناتُ النفوس وكيدها  
ويشهدُه المحبوب عنه بحُسنه  
ويُبدي له المكتون من سرّ كونه  
وتحلّى له الكاساث في حانِ أنسبيه  
ولم يلُك مجذوباً على يد قدرة  
ويحسُّ منه الخلقُ والخلقُ والرضي  
فذاك لعمري ناقصُ الحظّ عاجزٌ  
أقلُّ مبادي القوم ، إن يلُك هكذا  
على يد أستاذٍ خبيرٍ بنفسه  
ويُشهدُه المحبوب عنه بحسنه  
وتحفظهُ الألطافُ من عين لُبِّيه  
ويرفع معناه بابناع غرميه  
يريد سبلاً وهو يأتي بعكسيه  
ومن جاء بالبهتان راح يبخشه

التبية الثالث  
وهو الخاتمة  
في بيان حقيقة العلم ، وفيه وصية

إعلموا رفافي أطلعكم الله على خفياتٍ عليه وأشرف بكم (٦٨) على جلياتٍ حكمه ، أن العلم هو إدراك (٦٩) المدرك على ما هو عليه في نفسه إن كان مما يمكن إدراكه (٧٠) . وأما ما يمتنع دركه فلا دركه هو دركه ، كما قال الصديق رضي الله عنه : « العجز عن ذرتك الدرارك هو الإدراك » . وقال تعالى : « وما قدروا الله تعالى حق قدره » (٧١) ، أي ما عرفوا الله حق معرفته ، فكيف يعرفونه حقيقةً حق المعرفة ؟ إذ المعرفة معرفتان : — كما قال أبو الحسن التوري (٧٢) — معرفة حق وهي إثبات الوحدانية على ما أبرز من الصفات ، ومعرفة حقيقة وهي ما لا سبيلاً إليها لامتان الصمدانية وتحقيق الربوبية ، فالمعرفه تتعلق من كل معروف بحق وحقيقة ، فالحق من مدارك العقول من جهة الدليل ، والحقيقة من مدارك الكشف والمشاهدة وليس ثم مدرك ثالث البنة . وهذا قال حارثة : أنا مؤمن حقاً (٧٣) . فأنقى بالدرك الأول ، وكان عنده مزيد بالدرك الثاني ولكن سكت عنه .. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما حقيقة إيمانك ؟ يرى أنه كان عنده المدرك الثاني ، فأجابه بالاستشراف والاطلاع والكشف ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : عرفت فالزم . فلا تصح المعرفة بالشيء على الكمال إلا بهاتين المعرفتين : الحق والحقيقة . فإذا أخبر الله تعالى بأننا عاجزون عن إدراك حق قدره ، فكيف لنا بحقيقة قدره ؟ وليس القدر هنال إلا المعرفة بما يقتضيه مقام الألوهية من التعظيم ، ونحن قد عجزنا عنه ، فآخرى أن نعجز عن معرفة ذاته تجلت وتعالت علواً كبيراً ، فلما عاين القوم هذه العظمة والجلال جزمو بأنهم لا يقدرون قدره مع ما تقدّر عندهم من التعظيم والجلال ، وقدر ما هم بالتقسيير فعرفوا أنه ليس في وسع الحدث أن يقدّر قدر القديم ، لأن ذلك موقف على ضرب من المناسبة الحقيقة ولا مناسبة ، فتاهوا في مفاوز الحيرة لهذه العظمة

والجلال ، وقالوا : ليس في الوجود إلا الله وأفعاله تعالى ، وصفاته غير زائدة على ذاته . فصار معناه ما ثمَّ إلا الوجودُ ومعانيه وهي المسماة بالمراتب عند قوم ، وبالماهيات عند قوم ، وبالمكانت عند قوم ، وبالأحوال عند قوم ، وبالشئون عند قوم ، وبالاعيـان الثابتة عند قوم ، وهي حـقائق المـوجودـات ، وهي غير مـعـولـة ، إذ حـقـيقـةـ الـحـقـ مـنـزـهـةـ عنـ الجـفـلـ والـتـائـرـ ، وما ثمَّ أمرـ ثـالـثـ غـيرـ الـحـقـ والأـعـيـانـ ، ولا أـثـرـ لـشـيءـ فيـ شـيءـ ، بلـ الأـشـيـاءـ هيـ المؤـثـرـةـ فيـ أـنـفـسـهاـ وأنـ الـمـسـمـاـةـ عـلـلاـ وأـسـبـابـ مـؤـثـرـةـ بـشـرـوـطـ فيـ ظـهـورـ اـثـارـ الـأـشـيـاءـ فيـ أـنـفـسـهاـ ، لاـ أـنـ ثمـ حـقـيقـةـ مـؤـثـرـةـ فيـ حـقـيقـةـ غـيرـهاـ . وكـذـلـكـ لـيـسـ شـيءـ يـكـدـ شـيـئـاـ غـيرـهـ بـلـ المـدـ يـصـلـ منـ باـطـنـ الشـيءـ إـلـىـ ظـاهـرـهـ ، وـالتـجـلـيـ التـورـيـ الـوـجـودـيـ يـظـهـرـ ذـلـكـ . ولـيـسـ الـأـظـهـارـ بـتـائـيرـ فيـ حـقـيقـةـ ماـ أـظـهـرـ فـالـنـسـبـ هيـ المـؤـثـرـةـ بـعـضـهاـ فيـ الـبـعـضـ ، بـعـنىـ أـنـ بـعـضـهاـ سـبـبـ لـانـتـشـاءـ الـبـعـضـ . وـظـهـورـ عـلـيـهـ فيـ الـحـقـيقـةـ الـتـيـ هيـ مـحـيـدـهـ ، ولاـ أـثـرـ لـلـأـعـيـانـ الثـابـتـةـ مـعـ كـوـنـهـاـ مـرـأـةـ فيـ التـجـلـيـ الـوـجـودـيـ الـآـهـيـ إـلـاـ مـنـ حـيـثـ ظـهـورـ التـعـددـ الـكـامـنـ فـيـ غـيـبـ ذـلـكـ التـجـلـيـ . فـهـوـ أـثـرـ فـيـ نـسـبـ الـظـهـورـ الـتـيـ هيـ شـرـطـ فـيـ الـأـظـهـارـ ، وـالـحـقـ يـتـعـالـيـ عـنـ أـنـ يـكـوـنـ مـتـائـرـاـ مـنـ غـيرـهـ ، وـتـعـالـيـ حـقـائقـ الـكـاتـنـاتـ أـنـ تـكـوـنـ مـنـ حـيـثـ حـقـائقـهـاـ مـتـائـرـةـ ، فـإـنـهـاـ مـنـ هـذـاـ الـوـجـهـ فـيـ ذـوقـ الـكـمـالـ عـيـنـ شـئـونـ الـحـقـ ، فـلـاـ جـائزـ أـنـ يـؤـثـرـ فـيـهـاـ غـيرـهـ ، فـلـاـ أـثـرـ لـمـرـأـةـ مـنـ حـيـثـ هيـ مـرـأـةـ فـيـ حـقـيقـةـ الـمـنـطـبـعـ فـيـهـاـ ، وـالـأـعـيـانـ الثـابـتـةـ هيـ مـعـانـيـ مـعـلـومـاتـ اللهـ تـعـالـيـ ، وـهـيـ [ـ لـاـ ]ـ تـنـاهـيـ كـمـ أـنـ الـعـلـمـ بـهـ لـاـ يـتـاهـيـ ، وـفـيـ وـجـودـ الـعـلـمـ الـذـاـقـ الـآـهـيـ هيـ أـعـيـانـ مـتـائـرـةـ ، وـلـيـسـ كـلـ مـعـنـىـ مـنـهـاـ كـلـيـاـ بـلـ كـلـ مـعـنـىـ مـنـهـاـ صـوـرـ جـزـيـاتـهـ مـتـائـرـةـ ، وـلـيـسـ إـلـاـ صـوـرـ جـزـيـاتـهـ . وـلـمـاـ كـانـ كـلـ مـعـنـىـ مـنـهـاـ تـفـصـلـ جـزـيـاتـهـ إـلـىـ غـيرـ نـهـاـيـةـ ، بـقـيـتـ تـلـكـ الـمـعـانـيـ كـانـتـهاـ فـيـ التـمـثـيلـ سـلاـسلـ ، وـكـلـ كـعـبـ مـنـ السـلـسـلـةـ مـثـلـاـ هوـ صـوـرـةـ مـسـائـلـةـ مـنـ صـوـرـ الـعـلـمـ الـآـهـيـ مـتـبـيـزـ لـاـ شـيءـ مـنـهـاـ يـسـبـقـ شـيـئـاـ . فـإـنـ الـعـلـمـ الـآـهـيـ لـاـ يـدـخـلـ تـحـتـ الزـمانـ ، وـدـقـائـقـ جـزـيـئـهـ ، الـجـمـيعـ هـوـ مـنـ صـوـرـ الـعـلـمـ الـآـهـيـ ، فـالـمـاضـيـ وـالـمـسـتـقـبـ كـلـاـهـاـ لـلـعـلـمـ الـآـهـيـ حـاضـرـ . وـالتـجـرـدـ مـنـ جـمـلةـ صـوـرـ عـلـيـهـ تـعـالـيـ مـفـصـلـاـ بـأـزـمـنـةـ أـزـلـاـ وـأـبـدـاـ . وـلـوـلـاـ إـحـاطـةـ الـعـلـمـ الـقـدـيمـ الـأـزـلـيـ بـهـذـهـ

المكتنات لم يكن لها قبل ظهورها في الأعيان ثبوت ، لكنَّ العلمَ الحيط أكسيبها وجوداً علمياً أزلاً وأبداً ، فإنَّ العلمَ الاهلي مُدركٌ للماضي الذي وقع منها وللمستقبل الذي لم يقع منها ، ولو قوعه إذا وقعَ مما لا بد من وقوعه ، ولا يمتنع وقوعه منها إذا استمرَّ امتناعه ، ولا لوجود وقوعه من الممتنع أن لا وقع كيف كان يقع إدراكاً واحداً ولا يدخل تحت الزمان ، بل الزمان وما فيه تحته . فعلمُ الله بالكون أنه سيكون هو عينُ علمه الله قد كان علماً أزلياً أبدرياً واحداً لا ينقسم . وإذا كانت نقطةُ المركز التي لا تنقسم موازنةً لكلَّ نقطة [في] الحيط ولم تنكسر بكثرة الموازيات ، فعلمُ الله آخرَى أن لا يتکثر بكثرة المعلومات ، والعلم يثبت بثبات المعلومات ويتغير بتغيره ، والحق تعالى لا يتغير فالعلم به لا يتغير ، والعلم نابع للمعلوم ، وليس له فيه أثيرٌ بل للمعلوم في العلم أثرٌ ، فيعطيه من نفسه ما هو عليه في عينه ، والعلم لا يعطي المعلوم زيادةً في ذاته ولا في صفاتيه ولا في أفعاله ولا في أحواله ، فأحوالُ الأعيان الثابتة لا تبدلُ عما علمَتْ عليه ، إذ الحقائق لا تبدل وهي كلمات الله ، قال الله تعالى : « لا تبدل لكلمات الله » (٧٤) .

إذا علمَ العبد ، أي انكشف له من عينِه الثابتة وانتقالات الأحوال عليها إلى ما لا ينتهي كان علمه بنفسه بمنزله علم الله به لاتحاد المعدن ، لأنَّ الحق تعالى يأخذ علمه بالأعيان الثابتة منها ، لأنَّ علمه تابع معلومه . وكذلك هذا العبد إنما يأخذُ العلم المفصل من المعلوم ، وكلُّ منْ علمه صحيحٌ إنما يأخذُ علمه من معلومه ، فإنَّ قيل إذا حصلَ لعبدٍ من العبيد علمٌ عينِه الثابتة وعلمٌ ما يكونُ عليه في حال الوجود ، والحق تعالى هو يعلم الأعيان الثابتة أيضاً مثل هذا العبد بعينه ، فما الفرق بينَ علم الله وعلم هذا العبد ؟ .

قلنا لما سبقت عنابة الله لهذا العبيد بأنَّ يعلم هذا العلم صارَ علمه مستفاداً ، والحق تعالى علمه ذاتيًّا أزليًّا أبدليًّا ، فافترق علم الله تعالى من علم هذا العبد . وإذا كان العلم المستفاد من وجود المعلوم يسمى علماً ، وهو علم العبيد ، كيف لا تسمى الصفة الالهية التي هي ينبوُ الموجودات كلُّها علماً ؟

لا بل الحق أن لا يُطلق اسم العلم إلا عليها ، فإن أطلق على غيرها فما يجاز المض  
وبالتوسيع البعيد والاشراك الصيرفي ، فإن العلم ثمة عين المعلوم والصفة عين  
الموصوف وليس بزيادة على الذات . فإن المعلوم إما ذات كمالها بنفسها ، وإنما  
ذات فرض أن جميع ما للأولى بنفسها ، فلهذا مع الصفات صرح العقل حاكماً  
بأن الأول أتم لعدم افتقارها في كمالها ، فالذات المستغنية عن الرائد أتم وأكمل من  
المفقود إليها ، فاذن العلم ليس هو إلا كمال الذات من حيث هي ذات ، أو هو  
كمال الوجود من حيث هو وجود ، ولا يوجد تكثيراً ، فإذا ذكر الحق تعالى هو  
المستحق لكل كمال غير مكثراً كالحياة والعلم والإرادة والقدرة ، وغيرها من صفات  
الكمال ، وهو المعطى لكل كمال ، ولا يمكن أن يعطي الكمال القاصر عنه  
فيكون المستفيد أشرف من المفید ، وهذا محال . فالعلم إذن إنما حضور ذات  
مفارقة في ذات مفارقة ، أو هو عدم غيابها عنها وهذا أتم لأنه يعم إدراك الشيء  
لذاته وغيره ، إذ الشيء لا يحضر لنفسه ولكن لا يغيب عنها . والحق تعالى غير  
غائب عن ذاته ولوازم ذاته ، فهو عالم وعالميته بذاته هي ذاته مع عدم الغيبة  
والتجزد عن المادة ، وما سلبيان وهو الوجود البحت . والأشياء حاضرة له على  
إضافة مبدأية سليطية ، لأن الكل لازم ذاته فلا تغيب عنه ذاته ولا لازم ذاته ،  
وعدم غيابه عن ذاته ولوازمه مع التجزد عن المادة هو إدراكه تعالى . وإذا ليس في  
الوجود إلا ذاته ولوازم ذاته فهو بكل شيء محيطاً علمًا ولا يحيط به علمًا ، فاذن  
العلم الآلهي ليس بصفة زائدة على الذات المقدسة الآلية ولا هو منطبع في  
المعلوم ، لأن العدم المطلق معلوم ، والعدم ليس بشيء حتى ينطبع فيه شيء ولا  
شيء ينطبع في الشيء ، ولا العدم شيء ينطبع في شيء ، وهو [ إن ] تعلق  
أيضاً ، فإنه لا يتعلق الشيء بلا شيء ، فالعلم بالله تعالى مُحال وسواه  
حجاج . إذا فهم هذا فنقول : العلم أكبر من أن يحيط به فهم العلماء أو  
تدركه عقول العقلاة ، ويراهين هذا المطلوب كثيرة منها : قصة موسى والخضر  
عليهما السلام مع جلالته قدر موسى عليه السلام وما خصمة الله به من الكلام  
والنبوة والرسالة والوحى . فقد ذكر الله في الحكيم الناطق على لسان نبيه الصادق

صلواتُ اللَّهِ وسلامُهُ عَلَيْهِ عَجَزٌ مُوسَى عَنْ إِدراكِ عِلْمٍ عَبْدٍ مِنْ عَبَادِهِ ، إِذْ قَالَ : « فَوْجَدَ عَبْدًا مِنْ عَبْدِنَا أَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عَنْدِنَا وَعَلَمْنَاهُ مِنْ لَدْنَا عَلَمًا » (٧٥) ، حَتَّى سَأَلَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَالَ : « هَلْ أَتَبْعُلُكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَنِي مَا عَلَمْتَ رَشْدًا » (٧٦) مَعَ تَأْيِيدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامَ وَشَرْفِهِ وَعَصْمَتِهِ مِنَ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِ .

عَلَى أَنَّ الْخَضْرَ عَلَيْهِ السَّلَامَ لَمْ يَلْحِقْ دَرْجَةً مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامَ فِي النَّبِيَّةِ وَالرَّسُولَةِ وَالْكَلْمُ أَبْدًا . وَمِنْهَا ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّ نَبِيًّا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعِلْمٍ جَلَيلٍ وَخَفِيَّةً أَسْرَهَا لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ . قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا صَبَّ اللَّهُ فِي صَدْرِي شَيْئًا إِلَّا وَصَبَّتْهُ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ » (٧٧) ، وَقَالَ عَلَيْهِ كَرَمُ اللَّهِ وَجْهُهُ : « عَلِمْتَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ( وَاللَّهُ ) وَسَلَّمَ بِابَا مِنَ الْعِلْمِ لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ لِأَحَدٍ غَيْرِي » (٧٨) ، وَكَانَ يَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِهِ وَيَقُولُ : « إِنَّ هَهَا لِعْلَوْمًا جَمِيعًا لَوْ وَجَدْتُ هَا حَمَلَةً » (٧٩) . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا ذَكَرَهُ الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ : « حَمَلْتُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِرَابِينَ ، فَأَمَّا الْواحِدُ فَبَثَثَهُ فِيْكُمْ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثَهُ لَفَطَعَ مَنِي هَذَا الْبَلْعَومُ » (٨٠) .

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « نَحْنُ مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ امْرَأْنَا أَنْ نَخَاطِبَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عَقْوَلِهِمْ » (٨١) . وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قُوَّلًا بَلِيغًا » (٨٢) ، أَيْ خَاطَبُهُمْ عَلَى قَدْرِ عَقْوَلِهِمْ وَمَقْدَارِ فُهُومِهِمْ ، فَإِنَّ الْقَوْلَ الْبَلِيغَ هُوَ الَّذِي يَكُونُ بِحَسْبِ مِبَالِغِ الْمُخَاطَبِينَ . ثُمَّ أَمْرَأْنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ بِمَا أَمْرَرَ بِهِ فَقَالَ : « خَاطَبُوا النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عَقْوَلِهِمْ » (٨٣) . فَالنَّاسُ لَيْسُوا فِي الْمَوَاهِبِ سَوَاً ، فَلَا يَبْغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَظْنَ أَنَّهُ يَحْتَوِي عَلَى جَمِيعِ الْعِلْمِ حَتَّى يُخْطَئَ بِرَأْيِهِ كَلَامَ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَخَاصَّتِهِ وَيَكْفُرُهُمْ وَيَزْنِدُهُمْ وَهُوَ مَقْصُرٌ عَنْ مَارِسَةِ أَحْوَالِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ حَقَائِقِهِمْ ، بَلْ لَوْ سُيَلَ أَحَدٌ مِنَ الْمُنْكَرِينَ عَنْ مَجْرِيِ اسْطِلاعِ الْقَوْمِ الَّذِي تَوَاطَّؤُوا عَلَيْهِ فِي عَبَارَتِهِمْ مَا عَرَفَهُ فَكَيْفَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِمَا لَمْ يُحَكِّمْ أَصْوَلَهُ : « بَلْ كَذَبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتُهُمْ تَأْوِيلُهُ » (٨٤) ، فَلِمَ تَحاجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ . « رَبُّ حَامِلِ فَقِيهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ » (٨٥) ، « وَرَبُّ حَامِلِ فَقِيهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ » (٨٦) . فَرَبِّمَا صَحَّ عِنْ الْقَوْمِ مِنَ الْأَحَادِيثِ مَا ضَعَفَهُ ، فَأَخْذَهُ

القوم من باب الكشف عن قائله صحيحاً ، والكشف أقوى من الادراك في الجملة ، فهو أقوى من النقل . فما أحسن من سلَّمَ واستسلم واشتغل بنفسه ! فمن غلط في علم من العلوم فليسأل أهلَه ، « فاسألو أهلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (٨٧) . وكذلك من وقع في يده كتابٌ من كتب القوم فلا يظنُّ أَنَّه يفهمه ما لم يسلَّمَ له ، ومن سلَّمَ لا بدَّ أَنْ يجني ثمرة التسليم . فقد قيل : « مَنْ قَدَّ مَعَ الصَّوْفِيَّةِ ، يَعْنِي أَهْلَ الْأَسْرَارِ وَالْحَقَائِقِ ، وَخَالَفَهُمْ فِي شَيْءٍ يَتَحَقَّقُونَ مِنْهُ نَزَعَ اللَّهُ نُورَ الْإِيمَانَ مِنْ قَلْبِهِ » (٨٨) . فعلمُ الحقائق ثمرة العلوم كلُّها ونهاية العلوم ، فغاية جميع العلوم إلى علم الحقائق ، فإذا انتهى إليها وقع في بحر لا غاية له ، ويقال علم القلوب وعلم المعارف وعلم الأسرار وعلم الباطن وعلم التصوف ، والعلوم كلُّها علوم الله فلا ينكر منها شيء بهذا الاعتبار . قال الشيخ الحاتمي : (٨٩)

عَقَدَ الْخَلَاثُ فِي الْآلهِ عَقَائِدًا  
وَأَنَا اعْتَدْتُ جَمِيعَ مَا اعْتَدْتُهُ

فعلمُ الحقائق هو المهيمن على جميع العلوم والمحيط بها ، وقوله : « وأنا اعتقدتُ الجميع » ، لأنَّ كُلَّ طوي من أطوار المخالفين فهو عنده في شهوده ظهورٌ من ظهورات الحق تعالى ، فيثبتُه من حيث الظهور المشهود له لا من حيث إدراكه فـإِنْ إِدْرَاكَهُمْ مَحْجُوبٌ إِلَى الْجَهَلِ ، وإنْ وَاقَ الْعِلْمُ ، منسوب . لكن يصدقُ عندَ الحق أن يقال إنهم أصابوا أو يصدقُ أن يقال أخطاؤا . أما الاصابة فلمصادفة ظهور الحقيقة من ظهورِهم ببلوغهم فإنَّها الظاهرة بكل مبلغ ، وأما الخطأ فلا يُنْهَمُ لم يشهدوا جهة الاصابة ولا باشروا فيما قالوه بـرَدَ اليقين ولا ظهرت عليهم بشاشة التحقيق ، « إِنَّهُمْ إِلَّا يَظْنُونَ » (٩٠) « وإنْ هُمْ إِلَّا يخْرُصُونَ » (٩١) ، « إِنَّ الظَّنَّ لَا يُعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا فَأَعْرَضْ عَمَّا تَوَلَّ عَنْ ذَكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَلْأُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ » (٩٢) . وإذا اجتمعَت العلوم الشرعية والحقيقة في واحد فهو الإمام الكامل والقطب والحجَّةُ والداعي إلى النجاح والمحاجة ، ولما حاط به باستعدادات الموجودات يحدو بكلِّ أحدٍ إلى وطنه ،

فيسلك بكل أخذ على طريق استعداده الخاص به وبخاطب كل واحد على قدر عقله ، فإذا رأى مريداً في مشهد ذاتي سماه بعد الله ، إذ هو مقام من رأى — بصفات يُقال لها ذات من حيثيتها جمعها وصفات من حيث تفرقها — الحق تعالى من وراء الضدين رؤية واحدة يتحدد فيها الرأي والمرئي ، فيرى اسمه عين سماه وصفته عين موصوفه ، فإن من رأى الاسم والصفة غيره تعالى لم تصح له النسبة إليه بالعبودية الذاتية . أما إذا شهد الحق تعالى عين الأسماء والصفات بظهور أحدية الذات صحت له العبودية الذاتية التي هي الحرية الحقيقة ، التي هي عدم تقيد الباطن بشيء سوى الحق تعالى مطلقاً من حيث هو سوى . وخلاصة هذه الحرية أن لا يصدر عن صاحبها في حقه ولا في غيره فعل لأجل نفسه ولا لأجل غيره ، بل لله وحده بمعرفة تامة وحضور تام . وإذا رأى مريداً في مشهد وجودي سماه بعد الرحمن ، إذ الرحمة هي وجود ما بدا ، لأن ظهور ما ظهر إنما كان بالرحمة الإيجابية ، وقد علمت أن ما ثم إلا الوجود ومراته وقد اقتسمه هذان الأسمان ، فأخذ الاسم الله المراتب وأخذ الاسم الرحمن الوجود . ولما كان الله جاماً لكل شيء وكان الرحمن جاماً لحقائق العالم وما يكون فيه ، لهذا قيل : « رحمن الدنيا والآخرة »<sup>(٩٣)</sup> . ولهذا قيل لهم : « ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى »<sup>(٩٤)</sup> ، وإنما لم يقل فلهمما لاتحادهما في المدلولية ، فهما اسمان علمان للحق تعالى . ثم إن دعائهما إنما هو تعلقهما بالحق تعالى لتأثيرهما على قدر معارفهم ، وهي عند اسمه الرحمن ، وهذا الاسم الرحمن يتضمن جميع الأسماء الحسنى إلا الله ، فإنه له الأسماء الحسنى ، والرحمن وما يتضمنه من الأسماء يتضمنه الاسم الله . فكل من ينادي الله تعالى فإنما ينادي منه الرحمن خاصة ، وينادي من الرحمن الاسم الذي تطلبـه الحقيقة الداعية إلى الدعاء . وإذا رأى الكامل مريداً مشهده من مرتبة أخرى من مراتب الأسماء الجزئية سماه بذلك الاسم المناسب لمقامه ومشهده كعبد الواحد وعبد اللطيف وبعد الجبار وغير ذلك . جعلنا الله وإياكم ممن يُدعى في حضرة الجمع بعد الجامع ، إذ هي حضرة الذات الجامعة للأسماء والصفات والأفعال والذوات .

## وصيَّة

وَأَمَّا الْوِصِيَّةُ الْمَوْعُودُ بِهَا ، فَاعْلَمُوا رَفَاقِ سَلَكَ اللَّهَ بِكُمْ طَرِيقَ الْمَرْوِةِ وَأَشْهَدُكُمْ حَقِيقَةَ الْحَضْرَةِ ، لَمَّا سَاقَ بَنِي التَّقْدِيرِ الْآمِيَّ إِلَى بَلَادِ آذَرِيْجَانَ ، فَصادَفَتِنِي قَرْيَةً مِنْ قَرَاهَا تُعْرَفُ بِكِجَاجَانَ أَيْ رَاوِيَةُ الرُّوحِ شِيجَانًا يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّدِيقِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَدَسَ اللَّهُ سُرُّهُ ، وَكَانَ رَجُلًا مُوفَّقًا لِلتَّصْرِيفِ فِي أَبْنَاءِ النَّوْعِ ، مُلُوكِهِمْ وَرَعِيَّتِهِمْ مُؤْمِنِيهِمْ وَكَافِرِهِمْ ، لَا يُخَالِفُهُ أَحَدٌ فِيمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ وَيَنْهَاهُمْ عَنْهُ ، وَكَانَ يَتَصْرِفُ فِي بَاطِنِهِمْ أَحْوَالًا وَأَيْدَانًا ، أَحْكَامًا وَآرَاءً بِقَانُونِ شَرِعيٍّ جَنْكِي وَتَفْهِيمِ لَدْنَيِّ إِلَهِي ، كَانَ يُعْبَرُ بِلِسَانِ أَبْنَاءِ السَّبِيلِ عَمَّا أُودِعَ فِي سُورَةِ الْتَّزْبِيلِ ، وَيَنْطَقُ بِلِسَانِ أَبْنَاءِ الطَّرِيقِ عَمَّا أُودِعَ فِي سُرُّهُ مِنَ التَّحْقِيقِ ، وَكَانَ يُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ عَلَى بَصِيرَةِ غَيْرِ هَائِبٍ لِاعْتَرَاضِي مُنْتَقِدٍ . فَأَخْذَنِي بِكُلِّتِي يَدِيهِ وَأَقْامَنِي نَحْتَ تَصْرِيفِهِ بَيْنَ يَدِيهِ مِنْذَ تِسْعَ سِنِّينَ ، فَلَمَّا أَذْنَ لِي فِي السَّفَرِ إِلَى بَلَادِ الشَّامِ وَدارَ الْأَسْلَامُ وَصَانَى بِهِذِهِ الْوِصِيَّةِ بِلِعْنَتِهِ فَغَيَّرَتْهَا أَنَا بِالْعَرَبِيَّةِ .

قال قدس الله سُرُّهُ : « يا حبيبي عليك بالتمسك بعروة المروءة في جميع حركاتك وسكناتك عادةً وعبادةً فإنها صفة جامدة لكمال الإنسانية وهي نعمت أبيك آدم في ذلك ، لأنها اسم اشتقت من المرأة ، وهي لفظة وضيّعت لمعانٍ كثيرة واقعية على محسنٍ جمة من مكارم الأخلاق ومحامد الأوصاف ، قد جمعت مناقب الأنبياء والأولياء وخصائص السادات والكتّباء وخاصّال الملوك والوزراء ، وهي همةٌ من قلوب الأشراف من بني آدم . وليس بعد مقام المعرفة التامة مقام أعلى من مقام المروءة ، وهو مقام المسئي بالتصوّف الذي هو حسنُ الْخُلُقِ ، وأدنى مرتبة المروءة الأشتغال بالله عن كل ما سواه عبودة (٩٥) ، وأعلاه الفناء في الفردانية وهي حضرة الجميع ، أعني حضرة الذات المقدسة التي تستغرق الأسماء والصفات . وبالمروءة فضلُّ الأنسان على سائر المخلوقات ملائكةً وقلقاً ، وجميع العبادات الدينية والأخلاق الرضيّة نتيجة المروءة ، ولو لاها لم يحفظ أحد جوارحه عن الرذائل (٩٦) . اللهم أحفظنا بمحظتك الذي لا يُرُام واكتفنا بكنيتك الذي لا يُضَام ، وصلّى الله على سيدنا محمد وآلِه وسلّم .



موزه ملی کتاب و میراث اسلامی

# الرسالة الثانية



وزارت اسناد و کتابخانه ملی

رسالة الأذكار  
الموصلة إلى حضرة نور الأنوار

بسم الله الرحمن الرحيم  
صلى الله على سيدنا محمد وآلله وصحبه وسلم

يقول الفقير من الفقر إلى الفقر<sup>(١٧)</sup> حسن بن حمزة بن محمد الشيرازي الصوفي المعروف بالشرف البلاسي . أدار الله كثؤوس عقار مدام دوام حبه وذكره ، على قلبه وروحه وعقله وبره . وسقاه تصدق تحقيق تدقيق رفيق فربه وبره ، بإبريق طريق بريق عرفه ونكره ، على سماع أنفاس انعام أوتار آثار أنوار أنفاس أمواج بحر الوجود وبره .

الحمد لله الذي روح القلوب بسماع كلامه الذي هو الضياء والنور ، جلاء الكروب وشفاء الصدور ، « يزيد في الخلق ما يشاء »<sup>(١٨)</sup> من حسن النغم والأصوات ، « ويهدي من يشاء »<sup>(١٩)</sup> إلى عجائب ما فيها من المعاني والصفات . تهتز بشوفة الشعائر وترتاح وتطمئن بذكره القلوب والأرواح . قصر بصائر العارفين على ملاحظة قدس حضرته ، ووقفها على مشاهدة عجائب قدرته . صرف إليه بصائرهم وأفكارهم وحجب عن غيره بصائرهم وأبصارهم . فيه سماعهم وإليه استمعهم ، شغلت عن سواه أبصارهم وأسماعهم . فهم الذين أخذهم الله عن جميع الأغيار ، وجعل قلوبهم خزائن الأسرار ومعادن جواهر الأذكار والأفكار . أحمده على ما خص أوليائه بالطاف المشاهدات وأصناف المكاشفات بعد العبور على طريق المكابدات والمجاهدات . وأصلى على سيد السادات ومقدم الكائنات ومشريع الأسماء والصفات محمد ذي المعجزات

الباهرات والدلائل والآيات ، وعلى الله ذوي الحجع الواضحات ، وعلى أصحابه  
الأئمَّ الزاهرات ، وعلى إخوانه الشموس المشرقات وأسلَّمُ تسلِّماً كثيراً .

أما بعد ، فقد التمسَّ مني بعضُ إخواني في الدين وأخدانِي في طلبِ حقِّ  
اليقين ، وأقرَّاني في سلوكِ الطريق وخلَّاني على التحقيق ، أن أكتب له رسالةً  
موجزةً وعَجَالةً مختصرةً تشتملُ على ما حصلَ لي في خلوقٍ من أذكاري ومناجاتي  
بأنواع الأسماء الاليمية المناسبة لأحوالِ أصحابِ الهدایة وأربابِ التوسط وأهلِ  
النهاية ، وسماً ورسماً وإسمًا وعلماً وحكماً ومعرفةً وذوقاً وشوقاً ووجوداً وعشقاً وكشفاً  
وشهوداً وحقيقةً ووجوداً ، من الأحوالِ الغريبة والأثار العجيبة والأنوار الشريفة  
والأسماء اللطيفة ، فأشفقْتُه بملائمه وأظفرته بموجب مقترحه ومقتبسه ، وسمَّيَّتها  
برسالة الأذكار الموصلة إلى حضرة نور الأنوار ، ورتبَّتها على مقدمة وأنوارِ خاتمة  
وأسرار ، ثُبَّتَ الغافلين وثُوِّقُ النائمين وثَبَّتَ شوقَ الطالبين وتحركَ بلايل العاشقين  
وتُثْثِثَ ركائب السالكين حتى تورَّدُهم مشارعِ اليقين وتوصَّلُهم إلى رتبةِ العارفين  
الواقفين ، فيصبحون من الفائزين الفرحين المستبشرين المبهجين بحضوره جلال  
ربِّ العالمين .

المقدمة

إن علمَ أبْدِكَ اللَّهُ بِرُوحِهِ مِنْ أَمْكَنِهِ ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قد وصفَ  
نفسَهُ فِي الْقُرْآنِ الْمُجِيدِ بِنُواعِنِ مِنَ الصَّفَاتِ الْأَلِهَيَّةِ : أَحَدُهَا ، الْاجْلَالُ وَهُوَ إِشَارَةٌ  
إِلَى (الصَّفَاتِ) السَّلَبِيَّةِ . وَالثَّانِي ، الْاِكْرَامُ وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى الصَّفَاتِ الثَّبُوتِيَّةِ  
الْأَضَافِيَّةِ ، فَقَالَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى : « تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ  
وَالْاِكْرَامِ » (١٠٠) . وَالْأَلِهَيَّةُ هِيَ حَقِيقَةٌ جَامِعَةٌ لِلَّازِمِ السَّلْبِ وَالْأَبْيَاجِ ، إِذَا كُلُّ  
مُسْتَنْدٍ إِلَيْهِ تَعَالَى وَمُحْتَاجٍ إِلَيْهِ ، وَهُوَ مُسْتَغْنٌ عَنِ الْكُلِّ ، وَمَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ  
وَاحِدًا مُطْلَقًا ، وَإِلَّا كَانَ مُحْتَاجًا إِلَى أَجْزَائِهِ ، فَالْأَلِهَيَّةُ مِنْ حِيثِ هِيَ تَقْتَضِي  
الْوَحْدَةُ (وَ) الْوَحْدَةُ لَا تَقْتَضِي الْأَلِهَيَّةَ . وَأَمَّا النَّذَاتُ الْمُقَدَّسَةُ الْأَحَدِيَّةُ فَهِيَ  
حَقِيقَةٌ أَحَدِيَّةٌ تَكُونُ عَنْهَا الْكَثُرَةُ وَالْوَحْدَةُ ، وَلَا يَصْحُّ هَذَا إِلَّا فِي جَنَابِ الْحَقِيقَةِ  
سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى خَاصَّةً . وَأَمَّا فِي قَضَيَّةِ الْعُقْلِ فَلَا يَصْدُرُ عَنِ الْوَاحِدِ إِلَّا وَاحِدًا  
أَبْدًا ، وَأَمَّا النَّذَاتُ الْأَحَدِيَّةُ فَهِيَ حَقِيقَةٌ أَحَدِيَّةٌ تَكُونُ عَنْهَا الْكَثُرَةُ وَالْوَحْدَةُ فِي  
حَكْمِ الشَّهُودِ ، لَأَنَّ أَحَدِيَّةَ الْحَقِيقَةِ سَبَّحَانَهُ خَارِجَةٌ عَنْ حَكْمِ الْعُقْلِ وَطَوْرِهِ فَلَا  
تَدْخُلُ تَحْتَ الْحَكْمِ ، فَكَيْفَ يَدْخُلُ تَحْتَ الْحَكْمِ مِنْ خَلْقِ الْحَكْمِ وَالْمَحَاكِمِ؟  
هَيَّاهَا ! لَيْسَ لِلْعُقْلِ الْأَحَدِيَّةِ لِأَنَّهُ لَا يَعْقُلُ إِلَّا بِغَيْرِهِ لَا بِنَفْسِهِ ، فَلَا رَائِحةُ لَهُ فِي  
الْأَحَدِيَّةِ أَبْدًا . وَالْحَقُّ تَعَالَى قَدْ ثَعَقَلَ بِهِ الْأَحَدِيَّةُ وَقَدْ يَعْقُلُ بِالْأَضَافَةِ ، لَأَنَّ الْكُلِّ  
لَهُ وَبِهِ وَمِنْهُ وَإِلَيْهِ ، وَهُوَ إِذَا هُوَ عَيْنُ الْكُلِّ لَا كَلِيَّةٌ جَمِيعٌ ، بَلْ هُوَ حَقِيقَةٌ أَحَدِيَّةٌ  
تَكُونُ عَنْهَا الْكَثُرَةُ وَالْوَحْدَةُ .

فالأحدية والحمدية لله الواحد الأحد القهار ، جل جلاله وعظمت أفضاله ، وهو فرق مقادير العقول ، بدليل قوله تعالى : « وهو القاهر فوق عباده وهو

الحكيم الخبير » (١٠١) . فمعرفته سبحانه لا تكون إلا بالعجز عن معرفته ، إذ « ليس كمثله شيء » (١٠٢) . فقول القائل ليس كذا وليس كذا ، مع كونه يثبت له تعالى ما أثبته لنفسه ، إيماناً لا من جهة عقله ونظره ، فليس بعقله إلا القبول منه فيما يرجع إليه . فهو الرحمن الرحيم ربُّ الملك القدس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبارُ المتکبرُ الحَيُّ العالمُ المربيُّ القادرُ القاهرُ الجوادُ المقسطُ الحكيم والخالقُ الباريءُ والمصوّر . فهذه وأمثالها من الصفات أخرنا ( بها ) عن نفسه ، فتحن نؤمن بذلك كلَّه كما علِمْه بذلك لا على تأويلٍ مُنَاهٍ ، لذلك فإنَّه « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » (١٠٣) . فلا يضبهه العقلُ ولا الناظرُ ، فمالنا من العلم به تعالى من طريق الآيات إلا ما أوصله إلينا في كتبه وصحفه وعلى السنة رسُلِّه المترجمين عنه ، ليسَ غير ذلك . ونسبة هذه الأسماء وغيرها إليه تعالى غير معلومة عندنا ، فإنَّ المعرفة بالنسبة إلى أمر ما موقوفة إلى علم المنسوب إليه ، وعلمنَا بالنسوبِ إليه ليس بمحاصل ، فعلمنَا بهذه النسبة الخاصة ليس بمحاصل ، فإنَّ كُلَّ ما لا يمكن حصوله إلا بالوهبِ الالهي من طريق الكشف والشهود والمشاهدة والرؤيا والتعريف الرباني والتعليم الرحمني ، فحصوله من غير هذا الطريق محال . وقد عرفت مأخذ العقل ، من أين تركيبُ براهينها وأدلةها ، فالمقصودُ بها منوط والأقدامُ على هذه الأمور غير حسِنٍ . فلا سبيل للتعريض لتفني الصفاتِ ولا لأنبياتها إلا إيماناً ، بل والمشاهدة والمكاشف والرأي كلُّهم يضرُّون في حديث بارِد ، فالأولى ل أصحابِ العقول وأهل النظرِ والتفكيرِ بالوجودِ الوقوفُ والأقرارُ بأحكام الصفات (١٠٤) ، فإنَّ من أثبتَّ أعيانَ الصفات زائدةً على الذات الموصوفة بها ، فقد أثبتَ العددَ والكثرةَ في الله سبحانه ، وهو تعالى واحدٌ من جميع الوجوه . ( و ) لا يقال لا يلزمُ من هذا إثباتُ العدد على وجه ما ، فإنَّا نقول : ثمَّ ما هو أشدُّ عليهم من العدد والكثرة ، وهو أن تكون الذات المقدسة كاملاً بغيرها ، إذ كُلُّ كاملٍ بغيره ناقصٌ في ذاته . تعالى الله الواحدُ الأحدُ عن أن يكون كاملاً بغيره . وأئمَّا من نفي أعيانها (١٠٥) [ خوفاً ] من مثل هذين المقامين إما الكثرة وإما العدد ، يلقاه أمر آخر ، وهو أن الحكمَ لا يقدرُ من جهة الدليل الذي

قدمتموه على معرفة الله تعالى أن يُثبت هذه الأحكام للذات مجردة ، فإذا أثبتت كونه قادرًا لنفسه وقع الفعل أولاً وهو محال ، وإنما قادرًا لنفسه محال ، فلم يق إلأ أن يعلم أن الأسماء للذات المقدسة هي أحكام ترجع من المحدثات إليها ، وهي قسمان : معلومة وبجهولة ، أما المجهولة فلا كلام فيها حتى تعلم ، وأما المعلومة فهي على أقسام منها : ما يدل على عين الذات المقدسة لأيقاع التمييز للسامع من العبارة ، ويُسمى مرتجلًا أو جامدًا ، وهذا الأسم لولا نحن ما أطلق عليه . ومنها ما يعقل منه معنى زائد على الذات المقدسة ، وهل يدل على عين الذات المقدسة أم لا ؟ ففيه توقف بالنظر إلى العقل ، فإن دل على عين فهو عين الذات المقدسة المعمول عليها هذا الأسم أم ذات زائدة ؟ . فمن ذاهب إلى أنه عين الذات المقدسة ، ومن صائر إلى أنه ذات زائدة ، وثم إسم يعقل منه سلب ما لا يليق بالسمى كالقتوس ، وثم إسم يعقل منه إضافة وسلوب معاً كالقيم ومعنى هذا كله ، فمتنا نعقله لا منه .

## تيسه

إعلم أن الأسم قد يرد ويُراد به المسئي ، ويرد ويُراد به اللفظ الدال على المسئي ، فالخلاف في هذه المسألة لفظي ، ليس بأيدينا على الحقيقة من الحق تعالى إلا أسماؤه ، ولا يعقل منه غيرها . وبهذه النسبة سيناه (١٠٦) معروفاً ومعلوماً ومذكورةً ومبسحاً وممجداً ، وسیننا أنفسنا عارفين عالمين ذاكرين مسبحين مجذدين . وهذا لا يقع التسبيح والتقديس إلا على الأسم ، قال تعالى : « سبب  
اسم ربك الأعلى » (١٠٧) و « تبارك اسم ربك ذي الجلال والأكرام » (١٠٨) .  
والأسم ليس إلا علامة للمسئي يُعرف به عند الغيبة ، ولولا الغيب (١٠٩) ما احتجَ إلى الأسم ، فإذا حضر المسئي غاب الأسم ، إذ الأشارة تتضي في الحضرة ، فكيف العبارة ؟ فإن قيل المسئي لم يزل حاضراً ظاهراً لم يغب قط ولا يغيبُ العالم (لم) يظهر قط ولا يظهر أبداً ، فمن أين حدث الأسم ؟ فهو أمرٌ حدث من الأثر ، أو هو أمرٌ يكون عنه الأثر أو كلامها ؟ قلنا : إن أريد بالأسم غير المسئي فالاسم يحدث من الأثر ، وإن أريد بالأسم المسئي فالأثر منه يحدث ، ومعناه كان المسئي ، (وهو) ما كان مركباً تركيباً معنوياً أو حسياً ، أو غير مركب (تركيباً) معنوياً أو حسياً ، كلفظ رحيم مثلاً أي ذات (و) رحمة . فالمsei بهذه التسمية هو عين تلك النسبة الجامدة بين ذات ورحمة حتى جُعل عليها من هذه النسبة اسم فاعل ، وإن كانت التسمية جامدة لا يعقل منها غير الذات فليست بمركبـة تركيبـاً ، مثل إنسان تحت مركـبـ حسـيـ .

## تبيه

يعلم أن الفرق بين الأسم والرسم ، أن الأسم حال للعبيد في الوقت من الأسماء الآلهية عند الوصل وهو إدراك الفائت ، وأن الرسم نعمت يجري في الأيد ما جرى في الأزل . والفرق بين النعمت والصفة ، أن النعمت هو ما طلب النسبة العدمية كالأول والآخر ، وأن الصفة هي ما طلب المعنى الوجودي كالعالم والعلم .

## تبيه

اعلم أن الله سبحانه وتعالى من رأفيه بعده حذر نفسه ، فقال تعالى : « وخذلوكم الله نفسه (١١٠) ». فالله رؤوف بالعباد ، معناه : لا تتفكروا في ذاته . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذات الله » (١١١) وقال عليه السلام : « كُلُّنَا فِي ذَاتِ اللَّهِ حُمَقَاءُ » (١١٢) . وإنما نهانا وحذرنا عن التفكير في ذات الله عز وجل لأنَّه غير ممكن ، وذلك لأنَّ الفكر في الشيء مسبوق بسبقه تصوره ، وتصور كُنه حقيقة الحق تعالى غير ممكن ، فالذكر فيه غير ممكن . فعل هذا لا يمكن الفكر إلا في مخلوقاته تعالى ، وأماماً في ذاته تعالى فمحال ، فإنَّ الذات المقدسة من حيث هي هي لا تُعقل ، أمّا من حيث أنها منعوتة بالآلهة فأنها تُعقل ولا تكشف . وإذا كان الحق سبحانه فوق مقدار العقول ، ولا تقوم دلائل العقول عليه تعالى ، ولا سبيل لها إليه لأنَّ حضرة جمعه هي أحديَّة يكون الموصوف بها عين وصفه في شهود الشاهد ، فالشاهد ليس غير المشهود هنالك ، فالعقل معقول عن إدراكه جميع الجمع فضلاً عن إدراك أحديَّة الجميع . فادلة العقول إذاً لا تدركه ، ولا شك أنَّ سبَلَ العقول هي التصرف في المقولات العشر بالكلمات الخمس (١١٣) ، وبجميع العقول لا تتجاوز ذلك . والمقولات بأسرها والكلمات بمجملها هي مأْخوذة من تشبيه خفي في الأشخاص ، وهي إما أن لا تكون شيئاً بالبتة أو تتأخر تأخراً كثيراً عن الأشخاص ، والأشخاص هي جميع ما يتربَّ عليها المحيط التاسع إلى مركز الأرض ، وهي شخص واحد من أشخاص أنواع غير متناهية في النوع فكيف في الشخص ؟ وهي من عالم الخلق ، وعالم الخلق لا يدرك عالم الأمر فضلاً عن أن يدرك الحقيقة الأحادية الجامعة للعالمين . قال

تعالى : « أَلَا لِهِ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » ( ١١٤ ) . فاذن لا دليل على الله إِلَّا الله ، ولا سبيلاً إلى الله إِلَّا بالله ، بل « لا » يعرِّف الله على الحقيقة إِلَّا الله ، ولا يرى الله إِلَّا الله ، ولا يشهدُ أحدية الله إِلَّا الله ، ولا يذكر الله إِلَّا الله ، ولا موجودٌ إِلَّا الله ، ولا فاعلٌ إِلَّا الله ، وليس في الوجود إِلَّا الله ، وأنفعاله صفاتٌ وصفاته لا تغایرٌ ذاته . فهو لا هو ولا هو إِلَّا هو ، وأدَرَّ القول معه كيف شئت .

وإذا كان ذلك كذلك ، فاعلم أنَّ من سلَكَ الطريق إلى الله عزَّ وجَّلَ بالفَكِيرِ والنظرِ والتعلِّمِ ، كما هو دَأْبُ الفلَاسِفةِ ومن نَحَا مِنْهُمْ من أَهْلِ النَّظرِ من طَرِيقِ قِيَاسِ الشَّاهِدِ عَلَى الغَائِبِ بِالآثَابِ إِنْ شَبَهُوهُ وَبِالسَّلْبِ إِنْ نَفَوهُ ، انقطَعَ فِي الطَّرِيقِ دُونَ بُلوغِهِ إِلَى التَّحْقِيقِ ، وَمَاتَ بَيْنَ مَقَامِ النَّقلِ وَالتَّقْليِدِ ، وَلَمْ يَصُلْ إِلَى مَقَامِ التَّجْرِيدِ وَالتَّفْرِيدِ فَضْلًا عَنِ الْوَصْوَلِ إِلَى مَا فَوْقَ مَقَامِ الْعِرْفَةِ وَالْتَّوْحِيدِ ، وَلَا يَصُلُّ أَبْدًا إِلَى مَا يُنْتَجُ فِي الصَّدُورِ وَلَا إِلَى مَا يَحْصُلُ بِهِ الْيَقِينُ وَالنُّورُ . وقد أَخْبَرَ رَئِيسَ فِلَاسِفَةِ ( ١١٥ ) الْإِسْلَامَ عَنِ انْقِطَاعِهِ فِي عَدْمِ وَصْوَلِهِ إِلَى التَّحْقِيقِ ، وَقَالَ نَظِمًا :

فِيَا عَجَّبًا أَنَّ كُلَّ امْرِيَّ طَوِيلَ الْجَدَالِ دَقِيقَ الْكَلِمَمْ  
بِمُوْثٍ وَمَا حَصَّلْتَ نَفْسَهُ سُوِّي عَلَيْهِ أَنَّهُ مَا عَلِمْ

وقال :  
عَدَمْتُ مَنْتَي بَذَنَا إِنْ كُنْتُ أَدْرِي مَنْ أَنَا

وقال موفق الدين بن الحميد البغدادي ( ١١٨ ) رَحْمَهُ اللَّهُ نَظِمًا :  
فِيَكَ يا أَغْلُوطَةَ الْفِكَرِ حَارَ فَكَرِي وَانْقَضَى عُمُرِي  
سَافَرْتُ فِيَكَ الْعُقُولُ فَمَا رَبَحْتُ إِلَّا أَذْى السَّفَرِ  
فَلَحِيَ اللَّهُ الْأَلَى زَعْمَوَا أَنْكَ الْمَعْرُوفُ بِالنَّظَرِ  
كَذَبَوَا ، أَنَّ الَّذِي زَعْمَوَا خَارِجٌ عَنْ قُوَّةِ الْبَشَرِ

وقال رئيس المتكلمين (١١٧) : أَنَا أَعْرِفُ اللَّهَ تَعَالَى بِالنَّظَرِ وَالْفَكْرِ » فَلِمَّا  
ذَئَتْ وَفَائِهُ اسْتَغْفَرَ وَقَالَ : « نَهَايَةُ مَا عَلِمْتُ بِالنَّظَرِ وَالْفَكْرِ أَنِّي عَلِمْتُ ، أَنِّي مَا  
عَلِمْتُ شَيْئًا » .

وأكثُرُهُمْ بِلِ جَمِيعِهِمْ اعْتَرَفُوا أَنَّهُمْ مَا عَرَفُوا شَيْئًا ، وَإِنَّمَا مَنْعَهُمْ مِنِ الْوَصْلِ  
إِلَى الْوَاحِدِ الْحَقِّ اسْتِنَادٌ عَلَوْهُمْ إِلَى صُورِ الْأَشْيَاءِ ، وَهِيَ التَّعْبِينَ الْعَدْمِيَّةُ  
الْمُسْمَأَةُ بِالْفَرْقِ وَهِيَ مَا تَنَازَلَ بِهِ (١١٩) الْأَشْيَاءُ بَعْضُهُمْ عَنِ بَعْضٍ وَيَنْتَزَلُ الْحَقُّ  
تَعَالَى عَنْهَا ، وَهِيَ نِسَبَّ فِي الْوَجُودِ ، وَإِلَّا لَمَّا كَانَ عَنْهَا عَبَارَةٌ ، إِذَا الْعَبَارَةُ تَقْعُ  
بِاعْتِيَارِ الْوَجُودِ إِذَا فِيهِ التَّنَازُلُ فِي الْعَدْمِ . فَاعْجَبَ لَهُمَا مِنْ مُتَلَازِمِيْنِ مُتَقَابِلِيْنِ ،  
الْتَّعْبِينَ فِي الْوَجُودِ لَا بِالْوَجُودِ وَبِالْعَدْمِ لَا فِي الْعَدْمِ ، وَالْتَّعْبِينَ هِيَ عَالَمُ الْخَلْقِ وَهِيَ  
الْبَرِزُّ ، وَلَكُونُهَا أَعْدَامًا فَلَا نَسِيَّةُ لِلْعَدْمِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، لَأَنَّهُ الْوَجُودُ الْبَحْثُ  
الصَّرْفُ الْحَضُّ وَمَا سَوَاهُ عَدَمُ صَرْفٍ وَتَفْرِقَةٍ مُحْضَةٌ . وَأَمَّا الْجَمْعُ الْمُقَابِلُ لِهَذَا الْفَرْقِ  
فَهُوَ مَا بِهِ تَشَارِكُ الْمُوْجُودَاتُ وَهُوَ الْوَجُودُ ، وَصَفَّةُ اسْتِنَادِهِمْ إِلَى صُورِ الْأَشْيَاءِ كَمَا  
مَرَّ ، أَنَّهُمْ انتَزَعُوا مِنِ الْمُحْسَوسَاتِ صُورًا ذَهْنِيَّةً هِيَ تِلْكَ التَّعْبِينَ الَّتِي أَشَرْنَا إِلَيْهَا  
بَعْنَاهَا ، فَوَجَدُوهَا تِلْكَ الصُّورَ فِي أَذْهَانِهِمْ مُتَنَازِلَةً مُتَعْيِّنَةً ، فَأَضَافُوا الْأَشْيَاءَ إِلَى  
أَشْبَاهِهَا وَحَصَرُوهَا فِي كَلِيلَاتِ خَمْسٍ وَهِيَ : الْجِنْسُ وَالنَّوْعُ وَالْفَصْلُ وَالْخَاصَّ  
وَالْعَرَضُ الْعَامُ ، وَحَصَرُوهَا مَا تَنْتَرِصُ فِي الْكَلِيلَاتِ الْخَمْسِ فِي مُقَوْلَاتِ عَشَرٍ وَهِيَ  
الْجَوْهَرُ وَتَسْعَةُ أَعْرَاضٍ وَهِيَ : الْكَمْ وَالْكِيفُ وَالْأَضَافَةُ وَالْأَيْنُ وَالْمَنْتَى وَالْوَضْعُ وَالْجَدَدُ  
وَأَنْ يَفْعَلْ وَأَنْ يَنْفَعُلْ . وَقَدْ جَمَعَ بَعْضُهُمُ الْجَمِيعَ نَظَمًا وَهِيَ هَذِهُ :

سَهْلُ الطَّوْبِيلُ الْأَسْوَدُ ، بْنُ مَالِكٍ      فِي بَيْتِهِ ، بِالْأَمْسِ ، كَانَ مُتَكَبِّي  
بِيَدِهِ سَيْفٌ ، لَوَاهُ ، فَالْتَّوَرَى      فَهَذِهِ الْعَشَرُ مُقَوْلَاتٌ سَوَى

كُلُّ هَذِهِ صُورِ الْمُوْجُودَاتِ ، وَلَذِكَ لَا تُحْمَلُ إِلَّا عَلَى صُورَةٍ صُورَةً ، مُثَلَّ  
قُولِهِمْ كُلُّ جَ . بِ . أَيْ كُلُّ صُورَةٍ مِنْ صُورِ الْجَمِيمِ فَهِيَ صُورَةٌ مَا مِنْ صُورَةٍ  
الْبَاءُ ، وَالصُّورَةُ مُجْهَلَةٌ غَرَّاءً نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهَا ، وَالشَّيْئَاتُ هِيَ الصُّورُ عَلَى أَخْتِلَافِهَا  
وَعَلَى حَقَائِقِ نَسِبٍ مُتَنَازِلَةٍ تَحْجُبُ عَنِ الْحَقِّ تَعَالَى وَلَا تَدْلُلُ عَلَى التَّوْحِيدِ ، بَلْ تَدْلُلُ

على الشرك . فمن كثُرت تعلقَاتُه عَسْر خلاصُه من الحجاب . فَحُظِّ كل إنسان من الحجاب كحظه من التعلق بالصور ، فإذا تخلَّى الحقُّ بأنوار وحدانيته على القوة الباهرة من حضرة الاسم الظاهر تعلق الأدراك بالأأنوار اللامعات والمجالي الظاهرات ، ورأى الحقُّ في جميع المكنات فضلاً عن صورها ، وتفنَّى الصور حَال شهوده بل الأغيار والسوبي بأسرها في نظرِ المتجلِّي له ، لأنَّه إذا ظهرَ مِنْ لم يزُل فهُيَّ مِنْ لم يكن ، وفناهُ بوجه عجيبٍ غريبٍ عند الاسم ، وهو : أن تصير هي هو في شهود الشاهد .

فإن قيل : مَنْ لَمْ يَكُنْ لَا يُقَالُ فِيهِ يَقْنَى ، لَأَنَّ الَّذِي يَقْنَى فِي الْعُرْفِ فَلَا يَدْعُ أَنْ يَكُونَ لَهْ تَحْقِيقٌ مَا ، وَذَلِكَ كَوْنُ مَا كَيْفَ يُقَالُ فِي أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ؟ الجواب : قلنا من عَرْفِ التَّعْبِينَاتِ وَالنِّسَبَ وَالاضافاتِ المُسَمَّةِ بِالْأَغْيَارِ وَبِالسُّوَيِّ وَالْحَرْفِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَسْمَاءِ الصُّورِ ، عَلِمَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ كَيْفَ يَقْنَى . وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِي كَانَ يَرَاهُ قَبْلَ وَصُولِهِ إِلَى شَهْوَدِ مَقَامِ « كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ (١٢١) » غَيْرًا صَارَ فِي شَهْوَدِهِ عَيْنًا ، وَإِلَّا فَالْحَقُّ تَعَالَى لَمْ يَزُلْ ظَاهِرًا وَلَا يَزَالْ كَذَلِكَ ، إِذَا مَا ظَهَرَ سَوَاهُ وَلَا بَطَنَ غَيْرِهِ . وَيَلْزَمُ غَابَ وَظَهَرَ لِلقوَى وَالاوَاهَمِ وَلَا يَلْزَمُ لِلْحَقِيقَةِ مِنْهَا شَيْءٌ ، وَ« كَيْفَ يَلْزُمُهَا وَمِنْهَا مَتَشَوَّهًا ؟ فَالْمَعْدُومُ لَا يَصِيرُ مَوْجُودًا أَبَدًا ، كَأَنَّ الْوَاجِبَ لَا يَصِيرُ حَالًا أَبَدًا ، لَأَنَّ الْحَقَّاتِ لَا تَتَقَلَّبُ ، وَ« إِلَيْهِ الْاِشَارةُ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « لَا تَبْدِيلَ لِكَلْمَاتِ اللَّهِ (١٢٢) » وَ« لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ (١٢٣) » . فَالآثَابُ راجِعٌ إِلَى الْمُثْبِتِ لِأَنَّهُ مَا أَثَبَتَ إِلَّا مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ ، وَالسلُّبُ راجِعٌ إِلَى الْعَدْمِ ، وَالْعَدْمُ نَفْيٌ مُحْضٌ لِأَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنِ الْلَا وجودِ . وَهُوَ ، وَلَا يُقَالُ هُوَ إِلَّا لِضَرُورةِ التَّفَهِيمِ ، إِسْمٌ لِيُسَمَّى وَحَقِيقَةٌ مُتَصَنَّلَةٌ ، بَلْ هُوَ الْفَاظُ دَالَّةٌ عَلَى لَا شَيْءٍ مِنْ كُلِّ وِجْهٍ ، وَهِيَ الْعَيْنُ وَالدَّالُ وَالْمَيمُ . وهذه الحروف التي ترُكِّبُ منها هذا الاسم هي موجودة ذهناً ولفظاً وخطاً لا عيناً ووجوداً وذاتاً وحقيقةً مُحصَّلةً . وما لا وجود له في الخارج والأعيان فهو باطلٌ من حيث معناه وحقُّ من حيث حروفه ، فإنَّها موجودة في ثلاثة مراتب من مراتب الوجود ، أعني ذهناً ولفظاً وخطاً لا عيناً وثبوتاً وحصولاً . وغايةُ أحدهم ، أعني

المثبتين والنفأة ، إذا انتهى إلى نهاية مقامه ، أعني مقام العلم العُرفي النظري الفكري ، أن يعترف بجهله ويدعى أنه علم أن ما علم . وهذا طريق مُبغيٌ ومجهلٌ (١٢٤) ، لا مقرٌ ولا معرفٌ ، فإن العلم بالسلب سلب العلم ، وهذا العلم إلى الجهل أقرب منه إلى العلم ، وإلى العمى والخجاب أقرب منه إلى البصيرة والكشف . والسلوب والأضافات والنسب والتعيينات كلها عديمات فain العلم بالله ؟ هيئات ! « ولا يحيطون به علمًا » (١٢٥) ، فائتى للمقيّد بمعرفة المطلق والمحدث بمعرفة القديم والممكّن بمعرفة الواجب ، « ما للتراب ورب الأرباب » (١٢٦) .

ويُدخل إلى الملوك بإذن حجابها ، فمن مسيح في بحر الأفكار العقلية بالوسائل الخيالية فهو الحائز الذي لا يهتدى أبداً ، فإنه يتطلب من كل شيء حقيقته ، فإذا قال وجدت وقد حصلت ما كتبت طلبه فقد خسِر وسقط في يده من حيث لا يشعر . فالسعيد من أهل الفكر والقلب من لا يثبت له قدم ولا يستقر به منزل ولا يتنفس الصعداء ويقول : انقضى (١٢٧) العمر وما أنتج طليبي إلا الحيرة والقصور ، فذلك أسعد أهل الفكر ، وتعود بالله من ظلمة الأفكار فيما لا ينبغي أن يُفكّر فيه . فالعالِم المُحقِّق من أني البيوت من أبوابها وطلب الحكمة من أبوابها ولم يأتها من ظهورها ، فشلة علوم لا تَحَصُّل إلا من طريق المشاهدة أو العين وملامنة الذكر ، فلا تصل الأفكار إليها أبداً لمعرفة الذات المقدسة والنشأة الآخرة وأحكامها وشيء ذلك . وأما من سلك إلى الله عنَّ وجَّل ، بطريق الذكر والتسليم واعتصم بالله وجاهد في الله حقّ جهاده على يد سالك عارف مرشد كامل من حيث التعيينات لا من حيث التيقنات وما يتجاوز به ، بل من حيث الشهود وصلته بالوجود كـ هو دأب الصوفية أهل الجمع والوجود والرزق والشهود والكشف الحقيقى والتجلّى الكلّى ، فإنه يصل ويعرف أنَّ الحقَّ تعالى لا يُشَهَّد إلا بعين الجمع المقابل للفرق . والجمع هو ما به تشارك الموجودات وبه تجتمع المتفقات وتتألف المتبادرات ، والتباين هو بالتعيينات العدمية ، فإن إدراك الفرق صعب ، لأنَّه بحرٌ مُغْرِقٌ غَرَقَ فيه الأولون والآخرون

إلا أهل شهود الوجود . لكنَّ الغريق في هذا البحر ناج سعيد ، وأمّا الناظر<sup>(١٢٨)</sup> إلى هذا البحر من سيفيه وساحله ، المشفق على نفسه من طوله فهو ناج محروم ، ولقد غرق في غمرات الجهل من ليس له دليل مرشد ، كما يغرق في بحر الدنيا من ليس له سفينة ولا دليل وهم الأكترون . إذ الناس كثيرون والعلماء منهم قليلون ، والعلماء كثيرون والعارفون منهم قليلون ، والعارفون كثيرون والواقفون منهم قليلون ، والواقفون كثيرون والرأون منهم قليلون ، والرأون كثيرون والجلساء منهم قليلون ، والجلساء كثيرون وجليسُ العزيز منهم واحدٌ فردٌ لانفراده بالوجود عن العدم وبالذات عن الأسماء حتّى عن الأسمِ العلم .

ولي في هذا المعنى نظم ، وهو جواب سائل سأله في مدينة الموصل عن مذهبِي بطريق الاستهزاء ، فقلت له :

يا سائلاً عني ليعرف مذهبِي  
هيهات ! دونك مانع ومنيع  
إن كنت تنكري، أنا الفرد الذي  
لا تابع أبداً ولا متبع

فلما سمع هذين البيتين أنكرَ عليَّ وكفْرِي ، وجرت لي وقائعُ ليس هنا موضع ذكرِها . وبالجملة قلت لهم : اسمعوا معناها ليزول عن نفوسكم الانكار ، قالوا : قل ، فقلت لهم : إنتموا فتح الله أعين بصائركم ، إنه كما أنَّ الحقَّ سبحانه وتعالى انفرد بالوجود وليس معه سواه حتى نطلق عليه ( الله تابع ) أو ( متبع ) ، لأنَّه فردٌ في الوجود بل هو عينُ الوجود . وما ليس بوجود فهو عدمٌ ماضٌ فلا يتبع ولا يتبع ، فكذلك الإنسان انفرد بالعدم لرجوعه إلى أصله فإنَّ العدم وصفه المحقُّق في القديم ، كما قال تعالى : « هل أقي على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً »<sup>(١٢٩)</sup> . وقال عزَّ من قائل لذكرِي عليه السلام : « وقد خلقتك من قبل ولم تكن شيئاً »<sup>(١٣٠)</sup> ، أيٌّ ولم تكن موجوداً ، إذ الشيء إسم للموجود ، وما ليس بوجودٍ أصلاً فهو معدومٌ حقيقةً والمعدوم لا يتبع الموجود ولا يتبعه الموجود . فسلموا واستغفروا وشكروا بشيءٍ من الدنيا<sup>(١٣١)</sup> .

فثبت أنَّ الطريق الموصيَّ إلى الحق هو من حيث التَّعْيَنَاتِ التي هي أنوارُ وجوده وفيضُ جوده وتجلياتُ نورِه في أطوارِ ظهورِه . فإذا اعتبرت من حيث شهودُ الوجود كانت أنوارًا فائضةً وأسرارًا باديةً من نورِ ظهورِه ، وأما إذا اعتبرت من حيث التَّعْيَنَاتِ ، وهي الامتيازات العدمية والفرق العدمية ، كانت ظلمة باديةً من فوت مرام الحق وإلى مرام الحق آيةً . ولما كان الحق سبحانه هو الوجود الحض ، كانت المعدومات مثلَ من فاته الوجود وفاته أيضًا أن يروم الوجود ، فإنه لو رام الوجود لكان له نصيبٌ من الوجود ، إذ لا يطلبُ الشيء تقىضه لأنَّه إذ ذاك لا يكون طالبًا ما يطلبُه ، فكأنَّه (١٢٢) يكونُ على هذا التقدير ليسَ عدماً إذ ذاك ، لأنَّ ما يطلبُ عدماً فهو وجود ، لكن التقدير أنه عدماً قد فات بهذه الجهة مرام الوجود ، فتعينها هو في مقام فوت الوجود ، وذلك هو العدم . ولما كان الحق سبحانه وجوداً حضراً فوت الوجود هو العدم ، فالظلمُ أعدامٌ ومنشأها في فوت المرام ثمَّ هي إلى فوت المرام آيةً أي راجعة ، فإنَّ العدم إنما يرجع إلى العدم ، ولما كان الوجود لا يظهرُ إلا جزئياً كأنَ العدم لا يظهر إلا باعتبارات تقابل تلك الموجودات وهي أيضًا جزئية ، ولما كان حظُ الوجود الحق أن يكون في الخارج كأنَ ما هو من الظلم فيما يقابلُ الخارج وهو الداخل ويعنى به الذهن .

سؤال : لا يُقال إنَ الذهنيات موجودات ذهنية ، وأنت قلتُ : إنَ هذه أعدام ، فكيف تفرضها في الذهن ، وذلك يقتضي لها السبب للوجود وإن كان ذهنياً ؟

جواب : لا أنا نقول ، لا شكَّ أنَ في الذهن سلوبًا ، وتصورُ السلوب هو وجودي ، والسلوب نفسه عدمي ، فالتصورُ هو الذي أوهمَ أنَ يكون ذلك العدم الاضافي عن عدم إنَّ كان بعدم فمعناه أنه لم يقع إخبار ، وحيثُ لا يطلبُ التفاصيم بين المخاطبين ، فاضطرَ الحال أن يُستعارَ هذا النوع وجود ، وأضعفُ الموجودات هي الذهنيات ، وكلُّ ما يعتبره الذهن اعتباراً ولا وجود له في الخارج فإنَّها ظلمٌ ، ولذلك لا يتحققُ إلا باعتبارات الموجودات ، والسلوب كلُّها من

الظُّلْمِيْم ، لَأَنَّ الْوِجُودَ هُوَ النُّورُ وَهُوَ الْحَقُّ ، وَالْعَدْمُ هُوَ مَا يَقَابِلُهُ وَهُوَ الظُّلْمَةُ وَهِيَ الْبَاطِلُ . وَهَذَا مِنْ سُلْكِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ حِيثِ التَّعْبِينَاتُ الْعَدْمِيَّةُ لَمْ يَهِدِ إِلَى بَابِ الْقَدْسِ وَلَنْ يَصُلِّ إِلَى رُوحِ الْأَنْسٍ وَلَا إِلَى جَنَابِ الْقَدْسِ ، فَمَنْ افْتَصَرَ مِنَ السَّالِكِينَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْوِجُودِ وَوَقَفَ مَعَ السَّلِبِ أَفْلَحَ وَفَازَ بِالشَّهَادَةِ وَظَفَرَ بِالْمَفْصُودِ وَوَصَلَ إِلَى الْمَعْبُودِ وَأَضَاءَ بِأَنوارِ الْوِجُودِ وَظَهَرَ بِفِيضِ الْجُودِ ، لَأَنَّ الْوِجُودَ هُوَ النُّورُ وَهُوَ مَاهِيَّتُهُ وَبِهِ الظَّهُورُ .

فَهَذَا مَا أَرْدَنَا ذِكْرَهُ فِي هَذِهِ الْمُقْدَمَةِ وَاللَّهُ الْمَادِيُّ وَالْمَرْشِدُ .



وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی

المُحَاشِيْ وَالْتَّعْلِيقَاتُ



کتابخانه ملی  
جمهوری اسلامی ایران

(١) يُحتمل أنه قصد بالورثة الإمام علي والسيدة فاطمة وأبنائهما عليهم السلام ، ويُحتمل أنه قصد العلماء تقوله صل الله عليه وآله وسلم : « العلماء ورثة الأنبياء ».  
(٢) في الأصل ثلاث .

(٣) ورد القسم الأول من الحديث ، وهو النبي عن التفكير في ذات الله ، في أكثر المراجع المعتمدة بصيغ متعددة ، وكلها تؤدي إلى معنى واحد . فقد جاء في الجامع الصغير : ج ١ ص ١٣٢ : « تكلموا في خلق الله ولا تكلموا في الله ، فإن الكلام في الله لا يزيد صاحبه إلا نعيراً » .

وجاء في ( التوحيد ) للشيخ الصدوق مرفوعاً بأسانيد متعددة : « خرج رسول الله صل الله عليه وآله وسلم على أصحابه فقال : ما جمعكم ؟ قالوا اجتمعنا نذكر ربنا وتفكّر في عظمته ، فقال : لن تدركوا التفكير في عظمته » . ص ٤٥٥ وما بعدها ، وانظر الكافي : باب النبي عن الكلام في الكيفية ، ج ١ ص ٩٢ .

ووَرَبِّيْنَ مِنْ هَذَا فِيْ ، ابْن حِنْبِيل : ٢ / ٣٥٣ ، ٣٦٢ ، وَفِي الْأَحْيَاء : « تَفَكَّرُوا فِيْ خَلْقِ اللَّهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِيْ اللَّهِ فَإِنْكُمْ لَنْ تَقْتَرُ حَقَّ قَدْرِهِ » ٤ / ٤١٠ ، وَأَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمُ فِي الْحَلْيَةِ مَرْفُوعاً إِلَى ابْن عَبَّاسٍ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ ، وَرَوَاهُ الْأَصْبَاحِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالْتَّرْهِيبِ مِنْ وَجْهِ أَخْرَى أَصْحَحُهُ مِنْهُ ، مِنْ حَدِيثِ ابْن عَبَّاسٍ ، وَرَوَاهُ الطَّبرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍ ، وَقَالَ : هَذَا إِسْنَادٌ فِيْ نَظَرٍ . قَالَ الْعَرَقِيُّ ، صَاحِبُ الْمَغْنِيِّ عَنِ الْأَسْفَارِ : « فِي سَنْدِ الْحَدِيثِ الْوَازِعِ بْنِ نَافِعٍ وَهُوَ مُتَرَوِّكٌ » . الْمَغْنِيُّ عَنِ حَلْمِ الْأَسْفَارِ ، عَلَى هَامِشِ الْأَحْيَاءِ ٤ / ٤١٠ ) .

وَانْظُرْ أَيْضًا شَرْحَ الْأَحْيَاءِ : « إِعْجَافُ السَّادَةِ الْمُتَقِينَ » لِلْمَرْتَضِيِّ الزَّيْدِيِّ ١٦١ - ٦٢ .

وَأَنَّا تَمَّةُ الْحَدِيثِ فَمَعْرُوفٌ مُشَهُورٌ ، يَرْوِيُ الْغَزَالِيُّ فِي الْمَقَالَةِ الْخَادِيَةِ وَالْمُتَلَاثَيْنِ مِنْ كِتَابِ « سَرِّ الْعَالَمِينَ » ص ١٧٩ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ بِالْمَرْبَبِ عَنَّا لِأَرْضَنَا بِيَضَاءِ مِنْ وَرَاءِ قَافِ ( وَهُوَ جَبَلٌ ) ، لَا تَقْطَعُهَا الشَّمْسُ فِي أَرْبِيعِيْنَ سَنَةً ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَوْ فِيهَا خَلْقٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فِيهَا قَوْمٌ مُؤْمِنُونَ لَا يَعْصُمُونَ اللَّهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، لَا يَعْرُضُونَ آدَمَ وَلَا إِبْلِيسَ ، بَيْنَمَا الْمَلَائِكَةُ يَعْلَمُونَهُمْ شَرِيعَتَنَا ، وَيَحْكُمُونَ بَيْنَهُمْ وَيَدْرُسُونَهُمُ الْكِتَابَ الْعَزِيزَ ... » .

ويروي ابن عربي في الفتوحات المكية ج ٢ ص ٢٥٨ ، تحقيق صديقنا العلامة عثمان يحيى ، حدثنا مرفوعاً إلى عبد الله بن عباس أنه قال : « ... هذه الكعبة وأنها بيت واحد من أربعة عشر بيتاً » و « آن في كل أرض من السبع الأرضين خلقاً مثلنا حتى أن فهم ابن عباس مثلّ ». .

ويروي محمد بن الحسن الصفار في بصائر الدرجات بسانده عن هشام الجوالعي ، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : « إنَّ لِلَّهِ مَدِينَةً خَلْفَ الْبَحْرِ ، سَعَتْهَا مَسِيرَةُ أَرْبَعينَ يَوْمًا لِلشَّمْسِ ، فِيهَا قَوْمٌ لَمْ يَعْصُوا اللَّهَ قَطُّ ، وَلَا يَعْرُفُونَ إِبْلِيسَ ، وَلَا يَعْلَمُونَ خَلْقَ إِبْلِيسِ ... وَفِيهِمْ عِبَادَةٌ وَاجْتِهَادٌ شَدِيدٌ ، لِمَدِينَتِهِمْ أَبْوَابٌ مَا بَيْنَ الْمَرَاجِعِ وَالْمَرَاجِعِ أَلْفَ فَرِسْخٍ ، هُمْ تَقْدِيسٌ وَاجْتِهَادٌ شَدِيدٌ ، لَوْ رَأَيْتُهُمْ لَا يَحْتَرَمُونَ عَمَلَكُمْ ، يَصْلَى الرَّجُلُ مِنْهُمْ شَهْرًا لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ مِنْ سُجُودٍ ، طَعَامُهُمُ التَّسْبِيحُ وَلِيَاسِهِمُ الْوَرْعُ ، وَوَجْهُهُمْ مَشْرُقٌ بِالنُّورِ ... وَلَوْ أَنَّهُمْ وَرَدُوا عَلَى مَا بَيْنَ الْمَشْرُقِ وَالْمَغْرِبِ لَأَفْوَهُمْ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ، لَا يَخْتَلُ الْحَدِيدُ فِيهِمْ ، وَلَمْ سَيِّفْ مِنْ حَدِيدٍ ، لَوْ ضَرَبَ أَحَدُهُمْ بِسِيفِهِ لَقَدَّهُ حَتَّى يَفْصِلَهُ ... ». .

وبسانده عن الحسن بن علي عليه السلام : « إِنَّ لَهُ مَدِينَتَيْنِ ، إِحْدَاهُمَا بِالْمَشْرُقِ وَالْأُخْرَى بِالْمَغْرِبِ ، عَلَيْهِمَا سُورٌ مِنْ حَدِيدٍ ، وَعَلَى كُلِّ مَدِينَةٍ مِنْهَا سَبْعُونَ أَلْفَ أَلْفَ لِغَةٍ ، يَتَكَلَّمُ كُلُّ لِغَةٍ بِغَلَافِ صَاحِبِهِ ... ». .

وبسانده عن أبي عبد الله عن أبيه عن علي بن الحسين عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : « إِنَّ لَهُ بَلْدَةً خَلْفَ الْمَغْرِبِ يُقَالُ لَهَا جَابِلَقَا ، وَفِي جَابِلَقَا سَبْعُونَ أَلْفَ أَمَّةً ، لَيْسَ مِنْهَا أَمَّةٌ إِلَّا مِثْلُ هَذِهِ الْأَمَّةِ فَمَا عَصَوْا اللَّهَ طَرْفَةَ عَيْنٍ ... ». .

وبسانده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام ، قال : « إِنَّ مِنْ وَرَاءِ أَرْضِكُمْ هَذِهِ أَرْضًا يَبْضَعُهَا مِنْهَا ، فِيهَا خَلْقٌ يَعْبُدُونَ اللَّهَ لَا يَشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا ». .

وبسانده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام ، قال : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ جَبَلاً مُحِيطًا بِالْدُّنْيَا مِنْ زِرْجَدِ خَضِيرٍ — وَإِنَّمَا خَضْرَةَ السَّمَاءِ مِنْ خَضْرَةِ ذَلِكَ الْجَبَلِ — وَخَلَقَ خَلْقَهُ خَلْقًا لَمْ يَفْتَرِضْ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مَا افْتَرَضَ عَلَى خَلْقِهِ مِنْ صَلَةٍ وَزَكَاةً ». .

وبسانده عنه عليه السلام ، قال : « إِنَّ مِنْ وَرَاءِ عَيْنِ شَمِيزِكُمْ هَذِهِ أَرْبَعينَ عَيْنَ شَمِيزٍ ، فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَإِنَّ مِنْ وَرَاءِ قَمَرِكُمْ أَرْبَعينَ قَمَراً ، فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ لَا يَدْرُونَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ أَمْ لَمْ يَخْلُقْهُ ». .

وانظر الحاشية السادسة فيها زيادة وتفصيل أيضاً .

(٤) منفوسه : أي مخلوقة ومولودة ، وفي الحديث : « مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفَوْسَةٌ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ». .

(٥) في الأصل «أحدهم» وهو خطأً كما ترى .

(٦) ذكرنا في الحاشية الثالثة فيضاً من الأحاديث التي تلتقي مع هذا الحديث في المعنى وإن اختلفت في الكلمات . ونؤكِّد أنَّ نذكر هنا ما ورد في الجزء الثاني من الفتوحات المكية للشيخ الأكبر ابن عربي ، تحقيق صديقنا العلامة عثمان يحيى . والفصل هو بعنوان «أرض المقيقة» ، يؤكِّد وجود عالم آخر في مكان آخر فيه مخلوقات تعيش على غير العط الذي نعيش عليه ، ويسرد المؤلف قصصاً عجيبة عن أولياء متصوفة دخلوا هذه الأرض وشاهدوا ما فيها من العجائب ، ثم خرجوا منها وعادوا إلى هذه الأرض الدنيا . والفصل وإن كان طويلاً ، فإنَّ المتعة التي فيه تهون على المشتاق طوله ، وقد يكون فيه إجابة على تعلُّمات الانسان منذ عهد بعيد ليعرف هل في الأجرام السماوية سكان ؟ وهل بعضها مأهول بمخلوقات حية وإن لم تكن على مثال الانسان وصورته ؟ وإن لم يكن في الفصل جواب حاسم دقيق على هذا التساؤل ، فلا يخلو من أن يبعث في النفس طمأنينة وراحة ، ويحرِّك حاسة التأمل في الانسان وليس الخيال فقط ، ومن هنا تكون البداية لمعرفة المقيقة . وقد حذفنا من الفصل بعض الروايات التي لا يلحق حذفها ضرراً في روح النص ، فمن شاء أن يقرأه كاملاً غير منقوص فليعود إليه في عمله من كتاب الفتوحات .

قال لي بعض العارفين : «لَمَّا دخلت هذه الأرض ، رأيت فيها أرضاً كلها مسك عطر ، لو شئْ أحد منا في هذه الدنيا ملك لقرة رائحته . تمنَّد (رائحته) ما شاء الله أن تمنَّد . — ودخلت في هذه الأرض أرضاً من الذهب الأحمر اللين ، فيها أشجار كلها من ذهب ، وثمارها ذهب . فتأخذ (الانسان) التفاحة ، أو غيرها من الشمر ، فإذا كلها فيجد من لذة طعمها وحسن رائحتها وتعمتها ما لا يصفها واصف ، تقصر فاكهة الجنة عنها : فكيف فاكهة الدنيا ؟ والجسم والشكل والصورة ذهب . والصورة والشكل كصورة الشمرة وشكلها عندنا ، وتختلف في الطعم . وفي الشمرة من النتش البديع والرقة الحسنة ما لا تتوهه نفس ، فأحرى أن تشهدَه عنِّ .

«ورأيت من كبر ثرها بحيث لو جعلت الشمرة بين السماء والأرض ، لحجبت أهل الأرض عن رؤية السماء ؛ ولو جعلت على الأرض لفضلت عليها أضعافاً ؛ وإذا قبض عليها الذي يريد أكلها ، بهذه اليد الممهودة (F.89b) في القدر ، عمُّها بقبضته لتفعمتها . (هي) ألف من الماء . يُعطيق (الرجل) عليها يده ، مع هذا العظيم ! وهذا بما تحيله العقول هنا في نظرها . — ولما شاهدتها ذو النون المصري ، نطق بما حُكِي عنه من لمواد الكبير على الصغير ، من غير أن يُصغِّر الكبير ، أو يُكَبِّر الصغير ، أو يُوسع الضيق ، أو يُضيق

الواسع . فالمعظم في النفاحة ، على ما ذكرته ، باق ؛ والبعض عليها باليد الصغيرة ، والاحاطة بها ، موجود ، والكيفية مشهودة بجهولة ، لا يعرفها إلا الله . وهذا العلم مما انفرد الحق به . واليوم الواحد الزمانى عندنا هو عدة سنين عندهم . وأزمنة تلك الأرض مختلفة » .

قال : « ودخلت فيها أرضاً من فضة بيضاء في الصورة ، ذات شجر وأنهار وفراش شهي . كل ذلك فضة . وأجسام أهلها منها كلُّها فضة . وكذلك كل أرض : شجرها وثمارها وأنهارها وبخارها وخلقها من جنسها . فإذا تبرولت ( ثمارها ) وأكلت وجد فيها ، من الطعم والروائح والنسمة ، مثل مائة المأكولات ، غير أن اللذة لا توصف ولا تحكمي . — ودخلت فيها أرضاً من الكافور الإيبيض . وهي ، في أماكن منها ، أشد حرارة من النار ، يخوضها الإنسان ولا تحرقه ؛ وأماكن منها معتدلة ، وأماكن باردة ، وكل أرض من هذه الأرضين ، التي هي أماكن في هذه ( F.90a ) الأرض الكبيرة ، لو جعلت السماء فيها لكان كحلقة في فلأة ، بالنسبة إليها . وما في جميع أراضيها أحسن عندي ، ولا أوفق لمراجعي من أرض الزعفران . وما رأيت عالماً من عالم كل أرض أبسط نفوساً منهم ، ولا أكثر بشاشة بالوارد عليهم ، يتلقونه بالترحيب والتأهيل .

ومن عجائب مطعوماتها ، أنه أي شيء أكلت منها ، إذا قطعت من الشرة قطعة بنت ، في زمان قطعك إياها مakanها ، ما سد تلك الثلمة . أو تقطف بيدك ثمرة من ثمرها ، فزمان قطفك إياها يتكون منها مثلها ، بحيث لا يشعر بها إلا الفطن ؛ فلا يظهر فيها نقص أصلاً . وإذا نظرت إلى نسائها ، ترى أن النساء الكاتين في الجنة من الحور ، بالنسبة إليهن ، كنسائنا من البشر بالنسبة إلى الحور في الجنان . وأما مجتمعهن فلا يشبه لذتها لذة . وأهلها أعشى الخلق فمِن يرد عليهم : وليس عندهم تكليف . بل هم محبوون على تعظيم الحق وجلاله — تعالى ! — . لو رأموا خلاف ذلك ( ل ) ما استطاعوا . وأما أبنيتهم فمَنها ما يحدث عن همهمهم ؛ ومنها ما يحدث كما يُتبَّنى عندنا ( الأنبية ) من اتخاذ الآلات وحسن الصنعة .

ثم إن بخارها لا يمتزج ببعضها ببعض ، كما قال — تعالى ! — : ( مَرْجَ الْجَرَبَيْنِ يَنْقِيَانِ وَ يَتَّهِمَا بِرَزْخِ لَأْتِيَانِ ) . ( F.90b ) فتعانين متى بحر الذهب تصطفق أمواجه ، ويساشره بالجاورة بحر الحديد : فلا يدخل من واحد في الآخر شيء . وما ذم المطف من الهواء ، في الحركة والسبيلان ؟ وهو ، من الصفاء ، بحيث أن لا يخفى عنك من دوابه ، ولا من الأرض التي يجري البحر عليها ، شيء . فإذا أردت أن تشرب منه وجدت له من اللذة ما لا تتجده لمشروب أصلاً .

خلقها ينbowون فيها كسائر النباتات ، من غير تناصل ؛ بل يتكونون من أرضها تكون  
لخشوات عندنا . ولا ينعد ، من مائهم ، في نكاحهم ، ولد . وإن نكاحهم إنما هو مجرد  
لشهوة والنعيم .

وأما مراكبهم فعظم وتصغر ، بحسب ما يريده الراكب . وإذا سافروا من بلد إلى بلد ،  
لأنهم يسافرون براً وبحراً . وسرعة مشيهم في البر والبحر أسرع من إدراك البصر للمبصر .  
وخلقها متفاوتون في الأحوال : ففيهم من تغلب عليهم الشهوات ؟ وفيهم من يغلب عليه  
تعظيم جانب الحق . — ورأيت فيها ألوانا لا أعرفها في ألوان الدنيا . ورأيت فيها معادن تشبه  
الذهب ، وما هي بذهب ولا خناس . و (رأيت فيها) أحجارا من اللآلئ ينذرها البصر  
لصفاتها ، شفافية ، من الواقعية .

ومن أعجب ما فيها (F.91a) إدراك الألوان في الأجسام السفلية التي هي كالماء . ويتعلق  
الأدراك بالألوانها . كما يتعلق بالألوان التي في الأجسام الكثيفة . — وعلى أبواب مداتها عقود  
ال أحجار الياقوتية ، كل حجر منها يزيد على الخمس مائة ذراع . وعلو الباب في الهواء عظيم .  
وعليه معلق من الأسلحة والمعدّد ما لو اجتمع ملك الأرض كلها ما وفى بها .

« وعندهم ظلمة ونور من غير شمس تعاقب ؛ وتعاقبهما يعرفون الزمان . وظلمتهم لا  
تحجب البصر عن مذركه ، كما لا يمحجه النور . ويغزو بعضهم بعضًا من غير شحنه ولا  
عداوه ولا فساد بيته . وإذا سافروا في البحر وغرقوا ، لا يعود عليهم الماء كما يعود علينا ، بل  
يمشون فيه كمشي دوابه ، حتى يلحقوا بالساحل . وتخل بذلك الأرض زلزال ، لو حلّت بنا  
لانقلب الأرض ، وهلك ما كان عليها » .

وقال : « لقد كرت يوماً مع جماعة منهم — في حدث . وجاءت زلزلة شديدة بحيث  
إن رأيت الأبية تتحرك كلها غرّاك لا يقدر البصر يتسلّك من رؤيتها ، لسرعة الحركة مروّأ  
وكروراً ؛ وما عندنا خير ( بهذا كله ) ؛ وكانت ، على الأرض ، قطعة منها ؛ إلى أن فرغت  
الزلزلة . فلما فرغت ، وسكت الأرض ، أخذت الجماعة ييدي ، وعترتي في ابنة لي اسمها  
فاطمة . (F.91b) فقلت للجماعة : « إن تركتها في عافية عند والدتها » . — قالوا :  
« صدقت ! ولكن هذه الأرض ما تزال بنا ، وعندنا أحد ، إلا مات ذلك الشخص ، أو  
مات له أحد ؛ وإن هذه الزلزلة لموت ابنته . فانتظر في أمرها » .

« فقعدت معهم ما شاء الله . وصاحبى يتظارنى . فلما أردت فراقهم مشوا معي إلى قم  
الستّة ، وأخذنا خلّتهم ، وجئت إلى بيتي . فلقيت صاحبى ، فقال لي : إن فاطمة

تازع . فدخلت عليها ، فقضت . وكانت مجاورةً لِمَكَةَ . فجهزناها ودفناها بالْمُقْلَى » .  
— فهذا من أعجب ما أخبرت ( به ) عن تلك الأرض .

( قال : ) « ورأيت بها كعبة يطوف بها أهلها ، غير مكسوة ؛ تكون أكبر من البيت الذي بِمَكَةَ ، ذات أركان أربعة . تكلمهم إذا طافوا بها ، وتحبّهم ، وتفيدهم علوماً لم تكن عندهم .

« ورأيت في هذه الأرض بحراً من تراب ، يجري مثل ما يجري الماء . ورأيت حجارة صغاراً وكباراً ، يجري بعضها إلى بعض كما يجري الحديد إلى المغناطيس ؛ فتألف هذه ، ولا ينفصل بعضها من بعض بطبيعة ، إلا إن فصلها فاصل مثل ما يفصل الحديد عن المغناطيس ، ليس في قوته أن يتثنّع . فإذا ترکت ( حجارة هذه الأرض ) وطّبعها ، جرى بعضها إلى بعض ، على مقدار ، من المساحة ، مخصوص ، فتضُمُّ هذه الحجارة ، بعضها إلى بعض ، فينشأ منها ( F.92a ) صورة سفينة .

« ورأيت منها مركباً صغيراً وشبيهين فإذا ثارت السفينة أو الشُّيُّني من تلك الحجارة ، رموا بها في بحر التراب وركبوا فيها واسفروا حيث يشترون من البلاد . غير أن قاع السفينة من رمل أو تراب ، يلتصق بعضه ببعض لصوق الخاصية . فما رأيت ، فيما رأيت ، أعجب من جريان هذه السفن في ذلك البحر . وصورة البناء ، في المراكب ، سواء . غير أن لهم في جناحي السفينة ، مما يلي مؤخرها ، أسطوانتين عظيمتين ، تعلو المركب أكثر من القامة . وأرض المركب ، من جهة مؤخره ، ما بين الأسطوانتين ، — مفتوح ، متتساو مع البحر ؛ ولا يدخل فيه من رمل ذلك البحر شيء أصلًا بالخاصية .

« وفي هذه الأرض مداهن تسمى مداهن النور ، لا يدخلها من العارفين إلا كل مصطفى مختار . وهي ثلاثة عشرة مدينة ؛ وما هي على سطح واحد ؛ وبنائها عجيب . وذلك أنهم عملوا إلى موضع في هذه الأرض ، فبنوا فيه مدينة صغيرة لها أسوار عظيمة ، يسير الراكب فيها ، إذا أراد أن يدور بها ، مسيرة ثلاثة أعوام . فلما أقاموها جعلوها خزانة لمنافعهم ومصالحهم وعددهم . وأقاموا على بعد ، من جوانبها ، أبراجاً تعلو على أبراج المدينة ( F.92b ) بما دار بها ؛ وبدوا البناء بالحجارة حتى صار للمدينة كالسفف للبيت . وجعلوا ذلك السقف أرضًا بنوا عليه مدينة أعظم من التي بنوا أولاً ؛ وعمروها واتخذوها مسكنًا . فضاقت عنهم ، فبنوا عليها مدينة أخرى أكبر منها . وما زال يكثر عماراتها ، وهم يصدعون بالبنيان طبقة فوق أخرى ، حتى بلغت ثلاثة عشرة مدينة » .

( قال : ) « ثم إني غبت عنهم مدة . ثم دخلت إليهم مرة أخرى . فوجدتهم قد زادوا

مدتيتين ، واحدة فوق أخرى . ولم ملوك فيهم لطف وحنان . صحبت منهم جماعة . منهم التالي وهو التابع ، بمنزلة القليل في حمير . ولم أر ملكاً أكثر منه ذكر الله — تعالى ! — . قد شغله ذكر الله عن تدبير ملكه . انتفعت به . وكان كثير المجالسة لي . — ومنهم ذو العرف . وهو ملك عظيم . لم أر في ملوك الأرض أكثر من تأق إليه الرسل من الملوك منه . وهو كثير الحركة . هين . لين . يصل إليه كل أحد . ينطلي في النزول . لكنه إذا غضب لم يقم لغضبه شيء . أعطاه الله من القوة ما شاء .

« ورأيت لبحرها ملكاً منيع الحمى يسمى السابع . هو قليل المجالسة مع من يقصد إليه . وما له ذلك الالتفات إلى أحد . غير أنه مع ما يخطر له ، لا مع ما يراد (F.93a) منه . وبجاوره سلطان عظيم ، اسمه السابق . إذا دخل عليه الوافد ، قام إليه من مجلسه ، ويش في وجهه ، وأظهر السرور بقدومه ، وقام له الجميع ما يحتاج إليه من قبل أن يسأله عن شيء . فقلت له (ما السب) في ذلك ؟ فقال لي : أكره أن أرى في وجه السائل ذلة المسؤول للخلق ، غيره أن يذلل أحد لغير الله . وما كل أحد يقف مع الله على قدم التوحيد . وإن أكثر الوجوه مصروفة إلى الأسباب الموضوعة ، مع الحجاب عن الله . فهذا يجعلني أن أبادر إلى ما ترى من كرامة الوافد » .

قال : « ودخلت على ملك آخر يدعى القائم بأمر الله . لا يلتفت إلى الوافد عليه لاستيلاء عظمة الحق على قلبه . فلا يشعر بالوافد . وما يقدر عليه ، من يقدر عليه من العارفين ، إلا لينظروا إلى حاله التي هو عليها . تراه واقفاً ، قد عقد يديه إلى صدره ، عقد العبد الذليل الجاني ، مطروقاً إلى موضع قدميه ؛ لا تتحرك منه شرة ، ولا يضطرب منه تفصيل . كما قيل في قوم ، هذه حالتهم مع سلطانهم :  
كائنا الطير ينفهم فوق آرؤسهم لا تخوف ظليم ولكن تخوف إجلال  
يتعلم العارفون منه حال المراقبة » .

قال : « ورأيت ملكاً يدعى بالرادع . مهمب المنظر ، لطيف الخبر ، شديد الغيرة . دائم (F.93b) الفكرة فيما كلف النظر فيه . إذا رأى أحداً يخرج عن طريق الحق ، رده إلى الحق » . — قال : « صحبته ، وانتفعت به . وجالست من ملوكهم كثيراً ، ورأيت منهم من العجائب ، مما يرجع إلى ما عندهم من تعظيم الله ، مما لو سطرناه لأعيا الكاتب والسامع . فاقتصرنا على هذا القدر من عجائب هذه الأرض . ومدائنها لا تُحصى كثرة . ومدائنها أكثر من ضياعها . الجميع من يملكونها من الملوك ثمانية عشر سلطاناً . منهم من ذكرناه ، ومنهم من سكتنا عنه . ولكل ، سلطان سيرة وأحكام ليست لغيره » .

قال : « وحضرت يوماً في ديوانهم لأُرْتِ ترتيبهم . فلما رأيت أن الملك منهم هو الذي يقوم بزرق رعيته ، بلغوا ما بلغوا . فرأيتم إذا استوى الطعام ، وقف خلق لا يحصى عندهم كثرة ، يسمونهم الجباة ، وهم رسول كل بيت . فيعطيه الأئم من المطبع على قدر عائلته ، وأأخذه الجابي وينصرف .

« وأما الذي يقسمه ( أي يقسم رزق الرعية ) عليهم ، ( فهو ) شخص واحد لا غير ، له من الأيدي على قدر الجباة . فينصرف في الزمن الواحد لكل شخص طعامه في وعائه وينصرف ؛ وما فضل من ذلك ( الطعام ) يرفع إلى خزانة . فإذا فرغ منهم ذلك القاسم ، دخل الخزانة وأخذ ما فضل ( من الطعام ) وخرج به إلى الصعاليك الذين على باب دار الملك ، فيلقه إليهم ، فياكلوه . وهكذا في كل يوم . ( F.94a ).

« ولكل ملك ، شخص حسن الهيئة ، هو ( قائم ) على الخزانة ، يدعونه الخازن ، بيده جميع ما يملكه ذلك الملك . ومن شرعهم ، أنه إذا ولأه ( الملك ، أي إذا ولَّ الخازن ) ليس له عزله . ( أي ليس للملك عزل الخازن بعد توليته ) . ورأيت فيهم شخصاً أعجبني حركاته ؛ وهو جالس إلى جانب الملك ، وكانت على يمين الملك . فسألته : ما منزلة هذا عندكم ؟ فبسم وقال : أعجبك ؟ قلت له : نعم ! قال : هذا المعماري الذي يبني لنا المساكن والمدن ؛ وجميع ما تراه من آثار عمله . — ورأيت في سوق صياراتهم أنه لا يتقدّم لهم سائقهم إلا واحد في المدينة كلها ، وفيما تحت بد ذلك الملك من المدن » .

قال : « وهكذا رأيت سيرتهم في كل أمر : لا يقوم به إلا واحد ، لكن له وزيعة . — وأهل هذه الأرض ( أرض الحقيقة ) أعرف الناس بالله . وكل ما أحاله العقل ، بدلله عندنا ، وجدناه في هذه الأرض ( أرض الحقيقة ) ممكناً قد وقع . و « إن الله على كُلّ شيءٍ قدير » . فعلمنا أن العقول قاصرة ، وأن الله قادر على جمع الضدين ، ووجود الجسم في مكائن ، وقيام العرض بنفسه ، وانتقاله ، وقيام المعنى بالمعنى . وكل حديث وأية وردت عندنا ، مما صرفها العقل عن ظاهرها ، وجدناها على ظاهرها في هذه الأرض . وكل جسد يتشكل فيه الروحاني — بين ملك وجن — ، وكل صورة ترى الإنسان فيها نفسه في النوم : فمن أجسام هذه الأرض ( أرض الحقيقة ) . لها ( أي للأرواح البشرية ) من هذه ( F.94b ) الأرض ، موضع مخصوص ( في أرض الحقيقة ) . ولم ( أي لسكان أرض الحقيقة ) رفاق ممتدة إلى جميع العالم ، لصورة من هذه الصور التي بيده ، كساها إليها : كصورة دخنة جبيل .

« وسبب ذلك أن هذه الأرض مَدُّها الحق — تعالى ! — في البرزخ ، وعِينُ منها موضعاً لهذه الأجساد التي تُلْبِسُها الروحانيات ، وتنقل إليها النفوس عند النوم وبعد الموت : فنحن من بعض عالمها . ومن هذه الأرض طرف يدخل في الجنة يسمى السوق ( = سوق الصور ) . ونحن نبين لك مثال صورة امتداد الطرف الذي يلي العالم من هذه الأرض : وذلك أن الإنسان إذا نظر إلى السراج أو الشمس أو القمر ؛ ثم حال بأهداب أجهفانه بين الناظر والجسم المستثير ؛ يبصر من ذلك الجسم المستثير إلى عينيه شبه الخطوط من التور ، تصل من السراج إلى عينيه متعددة ؛ فإذا رفع تلك الأهداب من مقابلة الناظر ، قليلاً قليلاً ، يرى تلك الخطوط المتعددة تتقبض إلى الجسم المستثير .

« فالجسم المستثير ، مثال للموضع المعين من هذه الأرض لتلك الصور ؛ والناظر ؛ مثال العالم ؛ وامتداد تلك الخطوط ( هو ) كصور الأجساد التي تنتقل إليها ، في النوم ، وبعد الموت ، وفي سُوق الجنة ( سوق الصور ) ، والتي تُلْبِسُها ( F.95a ) الأرواح . وقد يدرك إلى رؤية تلك الخطوط بذلك الفعل ، من إرسال الأهداب الحائلة بين الناظر والجسم النَّيْر ، ( هو ) مثال الاستعداد . وانبعاث تلك الخطوط ، عند هذه الحال ، ( هو ) انبعاث الصور عند الاستعداد . وانقباض الخطوط إلى الجسم النَّيْر ، عند رفع الحائل ، ( هو ) رجوع الصور إلى تلك الأرض عند زوال الاستعداد » .

(٧) التحرير / ٦ .

(٨) في الأصل بعض .

(٩) الآراء / ٨٥ .

(١٠) ورد الحديث في كتاب الأسماء والصفات للبيهقي مرفوعاً إلى الإمام عليه السلام : « سُلِّمَ الْإِمَامُ (ع) عَنْ « وَيْسَأُلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ » فَقَالَ : هُوَ مَلِكُ الْمَلَائِكَةِ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ وَجْهٍ ». انظر ص ٣٦٧ ، ط ٧ دار إحياء التراث العربي .

(١١) يريد الحرف في الآية « من أمر رب » .

(١٢) الأعراف / ٥٤ .

(١٣) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد المخزاري القواريري ، من مشاهير متصوفة القرن الثالث المجري ، أصله من نهاوند ، ولد في بغداد ونشأ فيها ، كان معاصرًا للحلاج ، وبينما محادثات ومذاكرات . توفي في بغداد عام ٢٩٧ ، أو ٢٩٨ ، أو ٢٩٩ للهجرة .  
راجع : الرسالة الفشنية ج ١ ، حلية الأولياء ، ج ١٠ . الطبقات الكبرى للشعراني

(١٤) هو أبو المعالي صدر الدين محمد بن اسحاق بن يوسف بن علي القونوي من شواخن المتصوفة وأكابر العارفين . ولد في قونة عام ٦٠٧ هـ ، كان أبوه مجد الدين اسحاق من أهالي ملطية وكان صوفياً ، وقد تعرف على الشيخ الأكبر عبي الدين بن عربي في الحج ورافقه في عودته إلى الأناضول ، وبعد موت مجد الدين تزوج ابن عربي زوجته ، فعاش صدر الدين في ظله وصار تلميذه النجيب الأول وخليفة في القيادة الروحية ، تلمنذ على يده أشهر الصوفيين أمثال مؤيد الدين الجندي وسعد الدين الفرغاني وفخر الدين العراقي وعفيف الدين التلمساني وقطب الدين الشيرازي . وقد قامت بين صدر الدين القونوي وبين مولانا جلال الدين الروحي البلخي معرفة قوية وصداقة متينة .

من كتبه المطبوعة : مفتاح الغيب ، وتفصير الفاتحة ، والتفسير الصوفي للقرآن . ومن كتبه التي لا تزال مخطوطة : النفحات الآلية أو النفحات الربانية ، وهو لدينا نأمل أن ننهض بتحقيقه إذا شاءت العناية الآلية . والمفاصد ، والرسالة الماددية . وكانت وفاة القونوي عام ٦٢٣ هـ . راجع نقد النصوص في شرح نقش النصوص تحقيق ويليام جيتيك ، وكتاب الطبقات الكبرى للشعراني جـ ١ .  
(١٥) في الأصل بمحظونه .

(١٦) ورد الحديث في الفتوحات المكية جـ ٢ ص ١١٣ تحقيق العلامة عثمان بخي ، وورد في (حقيقة العشق أو مؤسس العشاق ) للشهروري ضمن (جموعة آثار فارس شيخ إشراق ) ص ٢٨٨ ، نشر المعهد الفرنسي للدراسات الإيرانية طهران ١٩٧٠ ، وفي إحياء علوم الدين ١٥٢ / ٣ .

(١٧) هو أوس بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو بن مسعة المرادي القرني ، الزاهد المشهور ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عن عمر وعلى ، ذكره ابن سعد في الطبقية الأولى ، من تابعي أهل الكوفة . أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل وجوده : « إن خير التابعين رجل يقال له أوس بن عامر فمن لقيه منكم فمروه فليستغفر لكم » « ... كان به برص فبراً منه إلاً موضع درهم ، له والدة ، هو بها بُرٌّ لو أقسم على الله لأُبُرٍ... » شهد صفين مع علي وقتله فيها .

الأصابة جـ ١ ، ابن سعد ، ٦ ، الشريishi ، ٢ ، تاج العروس ، ٤ ، ابن عساكر ، ٣ ، حلية الأولياء ٢ .

(١٨) التالئ من الوله ، وهو ذهاب العقل والتحيّر من شدة الوجد .

(١٩) (مع ما كانت قوته الروحانية حاكمة ) يريد أن يقول : وإن حكمت القوة الروحانية

فيه واطمأنت إلى أن الأرواح تلتقى وتنتاجى وإن تباعدت الأبدان . والجملة ليس فيها شيء من التعقيد والركاكة ، وهذا من أساليب الأقدمين ، به عرروا وتميزوا ، فلا يغرب عن البال ، و (ما) في الجملة موصولة بمعنى الذي ، و (حاكمة) : قاطعة ومتأكدة ومطمئنة .

(٢٠) الضمير يعود إلى (وصول) وإلى (حصول) قبلها .

(٢١) في الأصل فيجيء .

(٢٢) الشورى / ٥٢ .

(٢٣) الشورى / ٥٢ .

(٢٤) الأنعام / ١٢٢ م .

(٢٥) النور / ٣٥ .

(٢٦) النور / ٤٠ .

(٢٧) الضاربة في أنحاء الجسم المشعية فيه .

(٢٨) انظر ابن حنبل : ٢/٢٥٠ ، ٤٠٩ ، ٤٣٧ ، ٥١٨ ، ١٢٣ / ٥ ، ٥١٨ . ترمذى : فتن

٦٥ ، ابن ماجة : أدب ٢٩ ، أبو داود : أدب ١٠٤ .

(٢٩) هذا التعريف مشهور معروف أنه لأسطو . راجع كتابة (النفس) الترجمة العربية .

(٣٠) في الأصل قصر .

(٣١) الضمير يعود إلى قوله : « الدليل العقلي » .

(٣٢) قاعدة أساسية في فلسفة الفيوض والاشراق التي أنس صرحتها أفلوطين ، وكان لها أثرها الكبير ومداها الواسع في الفكر العربي الفلسفى والديني .

(٣٣) الأعراف / ١٨٩ .

(٣٤) لقمان / ٢٨ .

(٣٥) ورد الحديث عنه في اختلاف يسير على هذه الصيغة : « كل مولود يولد على الفطرة ، حتى يعرب عن لسانه . فأبواه بهوادتها وينصرانه ». الحديث أخرجه الطبرى في الكبير ١ / ٢٦٠ برقم ٨٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، و ٣٤ ، و ٣٥ عن الأسود بن سريع ، وقال المعلق رواه أحمد ٣ / ٤٣٥ و ٤ / ٤٢٤ وقال في مجمع الزوائد ٥ / ٣١٦ : وبعض أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح ، ورواه في الأوسط ، ورواه الدارمى ، برقم ٢٤٦٦ ، والحاكم ٢ / ١٢٣ ، والبيهقي ٩ / ٧٧ ، وصححه الحاكم على شرط الشيختين وأوافقه النهبي .

عن المعجم الصوفي للدكتورة سعاد حكيم ص ١٢٦٧ .  
٧٢ ص / ٣٦ )

(٣٧) الذي في الفتوحات : « في الجسمه كان اختلاف النشأ ... » .

(٣٨) انظر الكافي ، كتاب العقل والجهل ، ج ١ ص ٢١ . وفي الاحياء للغزالى ج ١ ص ٨٣ ، ط دار المعرفة : « أول ما خلق الله العقل ، فقال : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أذير فأذير ، ثم قال الله عز وجل : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم على منك ، بل أخذ وبك أعطى ، وبك أثيب وبك أعقاب ». وتغريمه في المنفى عن حمل الأسفار للشيخ العراقي : الطبراني في الأوسط من حديث أبي أمامة . أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة بساندتين ضعيفتين . هذا ويرى الزبيدي في شرحه على الأحياء أن الحديث روى عن أبي أمامة وعائشة وأبي هريرة وابن عباس والحسن ، اخفاف السادة المتقدرين للمرتضى الزبيدي ٤٥٢ / ١ ، وانظر عوارف المعرف للشهرودي على هامش الأحياء ٤ / ٢٤١ . انظر الفتوحات تحقيق صديقنا العلامة عثمان يحيى ٢ / ٥٠٦ - ٥٠٧ . حديث « ما خلق الله خلقاً أكرم على من العقل ». أخرجه الترمذى الحكيم في النوادر بسند ضعيف من رواية الحسن عن عذدة من الصحابة .

(٣٩) ينسب بعضهم هذا الحديث للرسول ، ويسببه آخرون للإمام علي ، فمن الذين نسبوه للإمام علي ، غير المصنف ، أبن الحميد في شرح نهج البلاغة الجلد الرابع ص ٥٤٧ ، ط القاهرة ١٩٢٩ ، وكذلك الأدمي ، وأنظر جامع الأخبار الفصل الأول ص ٥ . قال فيه أبن قميمة إنه موضوع ، وقال الترمذى قبله ليس ثابت . وقال أبو المظفر بن السمعانى في القواطع إنه لا يُعرف مرفوعاً ، وإنما يمحى عن معاذ الرازى يعني من قوله . وقال ابن الفرس بعد أن نقل عن الترمذى أنه ليس ثابت ، قال : لكن كتب الصوفية مشحونة به ، يسوقونه مساق الحديث . وللحافظ السيوطي فيه تأليف لطيف سماه ( القول الأثبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه ) . وقد قال الترمذى : قلت وقع في أدب الدين والدنيا للماوردي ، عن عائشة ، سئل ضلى الله عليه وسلم ، من أعرف الناس بربه ؟ قال : أعرفهم بنفسه . انظر كشف الخفا ، ص ٢٦٢ حديث رقم ٢٥٣٢ . نقلت هذه الحاشية من المعجم الصوفي للدكتورة سعاد الحكيم ص ١٢٦١ .

(٤٠) تأثير النخل هو جعل طلع الذكر في طلع الأنثى فتعلق وتشعر . انظر الحديث في (التابع الجامع للأصول ) تأليف الشيخ منصور على ناصيف ٣ / ٢٧٦ . والحديث مروي في صحيح مسلم : فضائل ١٤١ ، ابن ماجة : وهون ١٥ ، ابن حنبل : ١٦ ، ٥ / ٥ ، ٢٩٨ ، زرعاً ٦ / ١٢٨ .

(٤١) « عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلّى الله عليه وسلم يوم بدر قال لأبي بكر وعمر : ما ترون في هذه الأسرى ؟ فقال أبو بكر : يا نبّي الله هم بنو العم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية فنكرون لنا قوة على الكفار فعمي الله أن يهدّيهم للإسلام . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ قال : لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ، ولكنني أرى أن نفكّرنا فنضرب أعنفهم ، فتمكّن علينا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكّنني من فلان فاضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها . فهو يروي رسول الله صلّى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهُوا ما قال عمر ... » انظر الناجي الجامع للأصول ، ٤ / ١٢٦ ، وهو ينقل عن مسلم والترمذى ، وقد اختصرنا تجنّباً للملل وأجلالاً لسيرة الرسول الأعظم وتنزيهاً له عن مثل هذه المرويات التي لا تليق به .

(٤٢) ابن حنبل : ٢٤٢ ، ٢٥١ ، ٣١٥ ، ٣٢٣ ، ٤٣٤ ، ٤٦٣ ، ٥١٩ ،  
بخارى : استاذان ، مسلم : بر ١١٥ ، باب الجنة رقم ٢٨ ( وللحفظ فان الله ) . الحاشية  
منقوله من الفتوحات المكية ٢ / ٥٠٤ ، تحقيق صديقنا العلامة عثمان يحيى .

جاء في لسان العرب ، مادة ، صور :

فاما ما جاء في الحديث من قوله : « خلق الله آدم على صورته ». فيحتمل أن تكون الماء راجعة على أسم الله تعالى ، وأن تكون راجعة على آدم ، فإذا كانت عائدة على اسم الله تعالى ، فمعناه أن الصورة التي انشأها الله وقدرها ، فيكون المصدر حينئذ مضارعاً إلى الفاعل لأنّه سبحانه هو المصور ، لا أنّ له عزّ اسمه صورة ولا تمثلاً ، كما أنّ قوله لعمر الله إنساناً هو ، والحياة التي كانت بالله والتي أتتها الله لا أنّ له حياة تحلم ، ولا هو علا وجهه عمل للعراض ، وإن جعلتها على آدم ، كان معناه على صورة آدم أي على صورة أمثاله من هو مخلوق مدبر ، فيكون هذا حينئذ كقولك للسيد والرئيس : قد خدمته خدمته ، أي الخدمة التي تحق لآمثاله ، وفي العبد والمتبدل : قد استخدمتني أستخدام أمثاله من هو مأمور بالحقوق والتصرف ، فيكون حينئذ كقوله تعالى : « في أي صورة ما شاء رَكِبَ ». ولا يخفى التحاليل في هذا التحليل .

وانظر أيضاً كتاب الاملاء في إشكالات الأحياء فقد فصل في الكلام على هذا وفي  
كلامه جدة .

(٤٣) انظر الحاشية ٣٩ .

(٤٤) هذا جزء من حديث قدسي ، ونحن نورده هنا كاملاً : « قال رسول الله صلّى الله

عليه وسلم ، قال الله تعالى : من عادى لي ولیاً فقد آذنته بالحرب ، وما تقربَ إلیْ عبدی بشيءٍ أحبُّ إلیْ ما افترضت عليه ، وما يزال عبدی يتعرّب إلیْ بالتوافق حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يطعشه بها ورجله التي يمشي بها ، وإن سأله لاعطيته ، ولكن استعاذه لأعذنه ، وما ترددت في شيءٍ أنا فاعله ترددت عن نفس المؤمن بكره الموت وأنا أكره مساعته » .

أخرج البخاري في الرفاق من حديث أبي هريرة ، وأحمد والحاكم وأبو يعلى والطبراني وأبو نعيم وأبي عساكر عن عائشة ، والطبراني في الكبير عن أبي أمامة وأبي السنى عن ميمونة ، والقشيري في الرسالة عن أنس ، والحديث صحيح ثابت . انظر المعجم الصوفي / ١٢٦٨ . (٤٥) يريد الحديث « إن الله خلق آدم على مثال صورته » .

(٤٦) ما بين القوسين وجده مكتوبًا على هامش الأصل وبجانبه إشارة إلى الموضع الذي وضعته فيه من المتن ، لكتني أرى أنه لا علاقة له بأصل النص ، وقد وضعته رعايةً للأمانة التحقيق ، وتقديرًا لأصحاب البصيرة .

(٤٧) لأن (ذاك) هي إسم إشارة تدلّ على موجود ، وليس للعدم وجود ، فكيف يشار إلى ما ليس موجوداً وليس له وجود؟ .

(٤٨) « كان الله ولم يكن شيءٌ قبله » صحيح البخاري : باب التوحيد ، حديث رقم ٢٢ ، بدء الخلق ، رقم ١ . — مسنون أحمد بن حنبل ، المجلد الثاني ، حديث رقم ٤٣١ ، وانظر الفتوحات المكية ج ٢ ، ف ٢٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، بتحقيق صديقنا العلامة عثمان بمحبي .

ونسب القول إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق ، انظر (التوحيد) للشيخ الصدوق : (باب التوحيد ونفي التشبيه ) ، ص ٦٧ : كان الله ولم يكن معه شيء . كما نسب إلى أبيه الإمام الバقر وإلى الإمام علي عليهما السلام .

(٤٩) وقد نسب هذا القول للإمام علي عليه السلام . وصاغه أحدهم شعرًا : لكل داء دواء يستطب به إلا الحماقة أعيت من يداوها

(٥٠) أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر — الحديث ...

رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله بلفظ ، قال : قلت يا رسول الله : بأني أنت وأمي أخربني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء ، قال : يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك ، من نوره ، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ، ولا قلم ، ولا جنة ولا نار ، ولا ملك ، ولا سماء ولا أرض ... فلما أراد

الله أن يخلق الخلق ، قسم ذلك النور أربعة أجزاء ، فخلق من الجزء الأول القلم ، ومن الثاني اللوح ، ومن الثالث العرش .... الحديث ، كذا في المذهب . انظر كشف المفأة للعجلوني ، رقم الحديث ٨٢٧ . ج ١ ص ٢٥٦ - ٢٦٦ . نقلت الحاشية من المعجم الصوفي للدكتورة سعاد الحكمي ص ١٤٥٧ .

(٥١) « أول ما خلق الله القلم » و « أول ما خلق الله العرش ». أوردهما الغزالى في كتابه « معارج القدس في مدارج معرفة النفس » ص ١١٢ - ١١٣ ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٨١ .

(٥٢) انظر فصوص الحكم ، ج ١ ص ٤٩ ، تحقيق الدكتور عفيفي ، وقد انقدنا النص عند المقابلة ، لأنَّه كتب على حالة سيئة لا يفهم منه شيء ، وسندكره هنا كما هو في أصل المخطوطة : « فمن شأن الحكم الآلى أن ما سوى محلا لا ولا بد أن يقبل روحانياً غير منه بالفتح ، فكان القلم الأعلى كالشيخ المسوى ، أي المستعد أن يظهر فيه روح ينصله ، وتلك الروح هو اللوح المحفوظ ، والحكم الذي يتعين في القابل نفس حصوله في تلك الحالة هو تقدر إلهي هو المسمى بالفتح . وليس إلا حصول الاستعداد لقبول التجلی المسمى فتحاً ، وذلك تحمل دائم لم يزال ، وما يقى إلا قابل ، والقابل لا يكون من الله إلا رحمة إيمادية ، فالامر كلُّه منه ابتدأه وإليه انتهاه ، فالله يرجع الأمر كلَّه ». .

(٥٣) انظر الحاشية رقم / ٣٨٨ .

(٥٤) لقمان / ٢٧ .

(٥٥) الأعراف / ١٤٥ .

(٥٦) انظر الحاشية رقم / ٤٤ .

(٥٧) انظر الحاشية رقم / ٤٨ .

(٥٨) الأنفال / ١٧ .

(٥٩) « جمعت فلم تعطمني وعطشت فلم تسقني وعربت فلم تكسني ». .

جزء من حديث قدسي معروف ومشهور .

(٦٠) طه / ٥٠ .

(٦١) ترمذى ، بر / ٨ ، أبو داود ، أدب / ٤٩ بلفظ ( المؤمن مرأة أخيه ) .

(٦٢) النحل / ٧٨ . م

(٦٣) ما بين القوسين الكبيرين وجدته مكتوبًا في الحاشية ، وليس هناك إشارة تدلُّ على موضوعه من المتن ، وقد اختارت له هذا المكان لعلمي أنه خير مكان ، ولا يخفى الامر على ذوي البصرة .

(٦٤) هكذا في الأصل ، ولعل الأصوب (بأبن الشلاح) فالاسم لا يزال معروفاً سائراً في دمشق .

(٦٥) ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعم لا عالة زائل  
هذا البيت للبيد بن ربيعة العامري الشاعر الجاهلي المعروف .

(٦٦) من الوَلَه ، وهو ذهاب العقل والتغيير من شدة الوجد . انظر الحاشية رقم ١٨ -  
وقد ورد في (الامتناع والمؤانسة) لأبي حيَّان التوحيدِي ، في وصف أحوال أبي سعيد  
السيِّاري « ... وبتأله ويتحرج » ومعنى بتأله أي يتبعه ويتنسّك .

(٦٧) يذكر هذا البيت بيت الحجاج :

أقتلوني يا ثقافي إن في قتلي حياني

(٦٨) في الأصل أشرفكم .

(٦٩) في الأصل درك .

(٧٠) في الأصل درك .

(٧١) الزمر ٦٧ .

(٧٢) في جميع المصادر التي عدت إليها لم أجده إلا (أبو الحسين التوري ) ، وليس (أبو  
الحسن) ، فلعله هو المقصود ، ولعل الكاتب سها . وأبو الحسين التوري ، ويعرف بأبن  
البغوي ، بغدادي المولد والمنشأ ، صحب السرّي السقطي وأبن أبي الجواري ، وكان من أقران  
الجيد رحمه الله . مات سنة ٢٩٥ للهجرة ، له رسالة اسمها مقامات القلوب . انظر  
القشيري ج ١ ، وانظر الطبقات الكبرى للطبراني ج ١ .

(٧٣) عن الحارث بن مالك الانصاري . أنه مر بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له :  
كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال : عزفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلياً ، وأظمئت  
نهارياً ، وكأني أنظر إلى عرش ربى بارزاً ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتراورون فيها ، وكأني أنظر  
إلى أهل النار يتضاغون فيها ، قال : يا حارثة عرفت فلزم .

آخرجه الطبراني في الكبير وفيه ابن طبيعة ، وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه ، ورواه البزار  
من حديث أنس وفيه يوسف بن عطية لا يُحتج به ، وروا ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان  
٣٧ برقم ١١٤ ، وفيه أنه لقي عوف بن مالك ورقم ١١٥ كالأصل باختلاف بعض  
اللفاظ ، وقال مخرجه : الحديث ضعيف مرسل .

نُقلت الحاشية من المعجم الصوفي للدكتورة سعاد حكيم ص ١٢٦٤ .

- (٧٤) يونس / ٦٤ .
- (٧٥) الكهف / ٦٥ .
- (٧٦) الكهف / ٦٦ .
- (٧٧) أورد هذا الحديث الفيروز آبادي في خاتمة كتابه « سفر السعادة » باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه .
- وعذ العجلوني في كتابه « كشف المخفاء » أنَّ هذا الحديث وأمثاله من الموضوعات يقول في ص ٤١٩ : « فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه أشهر المشهورات من الموضوعات كحديث إن الله يتجلَّ للناس عادة ولأبي بكر خاصة ... » إلى آخر عبارة الفيروز آبادي المذكورة .
- وذكر السيوطي في « اللآلِي المصنوعة » ج ١ ص ١٨٦ - ٣٠٢ ثلاثين حديثاً من أشهر فضائل أبي بكر « مما اخذه المؤلفون في القرون الأخيرة من الشامل عليه ، وأرسله إرسال المسلم بلا أي سند أو أي مبالغات » وزيفها وحكم فيها بالوضع وذكر رأي الخفاط فيها . انظر الغدير للعلامة الأبنىي ج ٧ ، ص ٨٧ - ٨٨ .
- (٧٨) هذا القول الوارد عن الإمام عليه السلام مصدق متواتر لفظاً ومعنى في كثير من الأصول ، راجع مثلاً بحار الأنوار ، باب علمه عليه السلام ، ج ٤ ص ١٢٧ ، وملحقات الحقوق ج ٧ ص ٥٩٧ .
- (٧٩) ورد هذا القول في نهج البلاغة ، وورد مثله أيضاً : « ... بل اندمجت على مكتوب علم لو بُحث به لاضطربت إضطراب الأرضية في الطوى البعيدة » . انظر نهج البلاغة ص ٥٢ ، ط الدكتور صبحي الصالح .
- (٨٠) أخرجه البخاري في باب حفظ العلم ، من كتاب العلم ، حديث رقم / ٤٢ ، من الجزء الأول من صحيحه . وله مثله أيضاً : « حفظت من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أحاديث ما حدثكم بها ، ولو حدثكم بمحدث بها لم يتممني بالأحجار » أخرجه الحاكم في ترجمة أبي هريرة في المستدرك .
- (٨١) انظر الكافي ، كتاب العقل والجهل ، حديث رقم ١٥ . وابن عربى في كتاب (الفناء) ص ٤ المطبوع في جملة (وسائل ابن عربى - حيدر آباد) .
- (٨٢) النساء / ٦٢ .
- (٨٣) ورد الحديث في كتاب (الفناء) ص ٤ .
- (٨٤) يونس / ٣٩ .
- (٨٥) انظر كتاب (الفناء) ص ٤ .

- (٨٦) انظر كتاب (الفناء) ص ٤ .
- (٨٧) التحل / ٤٣ .
- (٨٨) نسبة ابن عربى إلى روم . انظر الفتوحات المكية ج ١ ، ص ٣٤١ ، تحقيق صديقنا العلامة عثمان يحيى ، وقد ورد القول بهذه الصيغة : « من قعد مع الصوفية ، وخالفهم في شيء مما يتحققون به نزع الله نور الآيات من قلبه » .
- (٨٩) انظر فصوص الحكم ، ج ٢ ص ٥ تحقيق عفيفي .
- (٩٠) البقرة / ٧٨ .
- (٩١) الأنعام / ١٦ . يومن / ٦٦ .
- (٩٢) التجم / ٣٠ .
- (٩٣) ورد هذا القول في كتاب (المفردات في غريب القرآن) للراغب الأصفهاني . ص ١٩٢ بهذه الصيغة : ( رحمن الدنيا ورحم الآخرة ) .
- (٩٤) الأسراء / ١١٠ .
- (٩٥) إن كلمة عِبُودَة هذه تحمل معنى ، ر بما كان الترمذى الحكيم صاحب كتاب ( ختم الأولياء ) أكثر دقةً من غيره في استعمالها وفي اظهار معناها . ولصديقنا العلامة عثمان يحيى حاشية ملأى بالفائدة أحبينا أن نوردها هنا ، يقول : « يميز الترمذى بدقةً ومهارة بين العبادة وبين العبودية أو ( العبودة ) . العبودية في نظره هي الحالة الأصلية للكائن المخلوق من حيث فقره و حاجته لخالقه ، وبهذا الاعتبار ، العبودية في المخلوق تقابل الريوبنة في الخالق . وفي السلوك الصوفي ، العبودية هووعي كامل و تمام بغير الانسان المطلق تجاه الله سبحانه الغنى عن العالمين . أما العبادة فهي تعبر عن هذا الفقر وعن هذه الحاجة ، ولكن العبادة بمنظور شيخنا ، إن لم تنشق من معين هذا الوعي التام الشامل فهي مظهر خارجي فاقد الحياة والروح . راجع كتاب الفروق للترمذى ، مادة عبادة وعبودة ( مخطوطة باريز رقم ٥٠١٨ - ١٦٠ ) . راجع أيضاً طبقات الصوفية ، سلمي ، ص ٧٠ ، ٧١ ، ١٤٠ ، ١٠٩ ، ١٢١ ، ٢٤٤ ، فواتح الجمال ص ١٩ ، ١٧٤ ، شفاء السائل ، ص ٤٤ ، قشيري رسالة ص ٧ ، سلمي ، جوامع ص ٧٥ » . انظر ختم الأولياء ، حاشية رقم ١٦ ص ١٢٠ .
- (٩٦) ر بما لا يمكن العثور على نص هذه الوصية في غير هذا الكتاب ، لأنها خاصة بالمؤلف ( حسن بن حمزة الشيرازي ) وكذلك لم أغير على ترجمة لصاحبها فيما رجعت إليه من كتب ومصادر .
- (٩٧) ينسب لأبي سعيد الخراز أنه قال : « الفقر إذا تم هو الله » .

- (٩٨) فاطر / ١ .

(٩٩) المدثر / ٣١ .

(١٠٠) الرحمن / ٧٨ .

(١٠١) الأنعام / ١٨ .

(١٠٢) الشورى / ١١ .

(١٠٣) الشورى / ١١ .

(١٠٤) في الأصل وردت الجملة هكذا : « فالأول لأصحاب العقول وأهل النظر والفكير والوقوف والاقرار والوجود والأحكام الصفات » . وهي جملة مضطربة لا معنى لها . وقد ارتأينا وضعها على ما ترى فمعنى أن يكون الأمر كذلك .

(١٠٥) هكذا استطعنا أن نقرأ الكلمة ، إذ هي في الأصل ليست واضحة .

(١٠٦) في الأصل سَمِّيَناها .

(١٠٧) الأعلى / ١ .

(١٠٨) الرحمن / ٧٨ .

(١٠٩) تركنا الكلمة كما هي ، وإن كنَّا نفضل أن تكون ( الغيبة ) .

(١١٠) آل عمران / ٢٨ — ٢٠ .

(١١١) راجع الحاشية رقم / ٣ .

(١١٢) راجع الحاشية رقم / ٣ ، والمعنى أَنَّا لَا نُحَصِّل عَلَى شَيْءٍ مِّن وَرَاءِ التَّفْكِيرِ فِي ذَاتِ اللَّهِ لَا يَهُوَ لَا سَبِيلٌ إِلَى ذَلِكَ .

(١١٣) يشرح المصطف نفسه فيما بعد المقولات العشر والكليات الخمس مما لَا نرى معاً حاجة إلى زيادة في الشرح .

(١١٤) الأعراف / ١١٤ .

(١١٥) لا أستطيع أن أجزم بقيناً من هو رئيس الفلسفة الذي اختاره المؤلف ، ولعله واحد من مؤلِّفَةِ الْثَّالِثَةِ : الفارابي ، ابن سينا ، نصير الدين الطوسي . وما أكثر المراجع والمصادر التي تتحدث عنهم .

(١١٦) لعله موقف الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي ، والذي دعاني للشك في الأمر أنه لم يعرف بابن أبي الحديد ، بل عرف بابن البجاد وابن نقطة . ولد عام ٥٥٧ هـ — ١١٦٢ م ، من فلاسفة الإسلام ، وأحد العلماء المكلفين من التصنيف في الحكمة وعلم النفس والطب والتاريخ والبلدان والأدب ، مولده ووفاته ببغداد ، أقام مدة في

- حلب وزار مصر ودمشق والقدس وحران وبلاط الروم وملطية والمحجاذ وغيرها . وحظي عند الملوك والأمراء ، وكان دميم الخلقة قليل لحم الوجه قوي الحافظة . من كتبه : الجامع الكبير في المنطق الطبيعي والآلهي عشر مجلدات و « بلغة الحكم » و « الكلمة في الريوية » و « الحكمة الكلامية » و « تهذيب كلام أفلاطون » ... إلخ ، مات عام ٦٢٩ للهجرة ١٢٣٢ م . راجع الأعلام ج ٤ .
- (١١٧) ر بما كان رئيس المتكلمين الذي انتخبه المؤلف هو فخر الدين الرازى ، صاحب التفسير الكبير .
- (١١٨) في الأصل نعمهم .
- (١١٩) في الأصل بها .
- (١٢٠) وردت الجملة في الأصل هكذا : « ولكنها أعدام فلا نسبة المعدم إلى الله تعالى ، فإنه وجود البحث الصرف الخض ... ». وقد رأينا إصلاحها على الصيغة الموجودة .
- (١٢١) انظر صحيح البخارى : باب التوحيد ، حديث رقم ٢٢ ، بداء الخلق رقم ١ . مستند أحمد ، المجلد الثاني ، حديث رقم ٤٣١ ، ولفظه : « كان الله ولم يكن شيء قبله ». لكنه ورد في الفتوحات كما هو بالفاظه عينها ج ١ ، ص ٥٣ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، بتحقيق العلامة عثمان يحيى .
- (١٢٢) يونس / ٦٤ .
- (١٢٣) الروم / ٣٠ .
- (١٢٤) المجهل : المفازة والصحراء لا أعلام فيها .
- (١٢٥) طه / ١٠٠ .
- (١٢٦) جملة سارة في كتب الصوفية لم أعيده لعرفة قائلها ، ويعنها واضح .
- (١٢٧) في الأصل ينقضي ، والأصوب ما وضعناه انسجاماً مع قوله : « وما أنتج طلبي ... ». (١٢٨) في الأصل النظر .
- (١٢٩) الإنسان / ١ .
- (١٣٠) مريم / ٩ .
- (١٣١) يقصد أنهم قدموه له شيئاً من متاع الدنيا من مال ونحوه .
- (١٣٢) في الأصل فكان .

## مسرد المدرجات

11 .....	المقدمة
45 .....	الرسالة الأولى
48 .....	المقدمة في بيان ما أطلق عليه لنفط الروح
54 .....	باب الأول ، في بيان معرفة وحدة النفس الإنسانية عقلاً ونقلأً
	التنبيه الثاني ، في بيان ظهور نور الحق بالعالم الأكبر والأصغر
62 .....	وتربيتها ومراتبها
65 .....	إشارة عرضية
67 .....	تلوع لوحى
69 .....	تلوع لوحى
71 .....	وارد رباني
72 .....	نصيحة
74 .....	التنبيه الثالث ، وهو الخاتمة ، في بيان حقيقة العلم
80 .....	وصية
85 .....	الرسالة الثانية
88 .....	المقدمة ، في بيان وحدانية الله تعالى
90 .....	تنبيه
91 .....	تنبيه
93 .....	تنبيه
101 .....	الحواشي والتعليقات

## مما صدر للمحقق

- الفوز الأصغر لمسكويه . تحقيق وترجمة إلى اللغة الفرنسية بالاشراك مع المستشرق الفرنسي روجيه أرنالدز — صدر في تونس .
- التكوين والتجلّي — للأستاذ أحمد محمد حيدر — صدر في باريس .

حقوق الطبع والترجمة والنقل والاقتباس محفوظة للمحقق .

Imp. Tipe 11, rue du Progrès . Montreuil Tel: 48 .59 .18 .86

**DEUX EPITRES  
DANS LA SUPER-SAGESSE ET  
LA PENSEE SPIRITUELLE**

**PAR  
HASSAN BEN HAMZA BEN MOHAMMED ALCHIRAZI  
CONNNU (ALCHARAF AL BALASSI)  
L'UN DES GRANDS SAGES DU 7<sup>e</sup> SIECLE D'HEGIR**

**Edition critique et annotée  
introduction du Dr Saleh OUDAIMAH**